بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربية

السّخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول
(648-784 هـ)

إعداد:
نيفين محمد شاكر عمرو

إشراف :
د.علي عمرو

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلب نيل درجة الماجستير في اللغة العربية
العام الجامعي 2008-2009

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نوقشت هــذه الرســالة يوم الأربعــاء، بتاريخ : 2009/6/3م.
الموافق 10/ جمادى الآخرة/ 1430هــ، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
1- د. علي عمرو	مشرفا ورئيسا	
2- د. مشهور حبازي	ممتحنا خارجيا	
3- د. حسام التميمي	ممتحنا داخليا	

www.manaraa.com

الإهداء :

إلى من ينبض قلبهما بالإحساس

إلى من ربياني فصرت بأخلاقي كالماس

إلى أعز الناس ...

أمي وأبي ...

إلى من أنار لي كل طريق

وكان لي خير صديق

زوجي العزيز

وإلى صغيرتي .. زينب وسارة

أهدي هذا العمل المتواضع شكراً وتقديراً

نيفين عمرو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير :

أتقدم بجزيل الشكر و كامل العرفان إلى

المشرف على هذه الرّسالة الدكتور علي عمرو ،

الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيّمة .

كما أشكر كل من ساعدني على إتمام عملي .

د

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات :

الموضوع	الصفحة
المقدمة	ز
التمهيد : السخرية وعلاقاتها	1
أ- مفهوم السخرية	2
ب- علاقة السخرية بالمجتمع	2
ج- أنواع السخرية	3
1- السخرية الاجتماعية	3
2- السخرية السياسية	4
3 – السخرية الدينية	4
د- أساليب السخرية	4
هـ أسباب اللجوء إلى السخرية	5
الفصل الأول **السخرية من ملامح الإنسان الخارجية في الشعر**	7
أولاً : السخرية من الهيئة العامة للجسم	8
ثانياً : السخرية من أعضاء الجسم	10
ثالثاً : السخرية من اللحية	14
الفصل الثاني **السخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته في الشعر**	18
أولاً : السخرية من ضيق الحال	19
ثانياً : السخرية من البخل	31
ثالثاً : السخرية من الحمق والثقل	39
رابعاً : السخرية من الأنساب	42
خامساً : السخرية من التناقض في حياة الشخص	44
سادساً : السخرية من إخلاف الوعد	46
سابعاً : السخرية من مفاسد اجتماعية وأخلاقية أخرى	49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث **السخرية من فئات اجتماعية مختلفة في الشعر**	54
أولاً : السُّخرية من المرأة .	55
ثانياً : السُّخرية من المغنيين والمغنيات .	61
ثالثاً : السُّخرية من الخدم والجواري .	64
رابعاً : السُّخرية من الأدب والأدباء .	65
خامساً : السُّخرية من أهل العلم والفضائل .	71
سادساً : السُّخرية من الحرف والحرفيين .	72
سابعاً : السُّخرية من مواقف مختلفة .	80
الفصل الرابع **السخرية السياسية في الشعر**	87
أولاً : السخرية من الملوك والأمراء	89
ثانياً : السخرية من موظفي الدولة	101
الفصل الخامس **السخرية الدينية في الشعر**	108
أولاً : السخرية من المتصوفة	109
ثانثاً : السخرية من التطاول على الشريعة	114
ثالثاً : السخرية من أهل الذمة	116
الفصل السادس **الدراسة الفينة**	120
أولاً : **اللغة**	121
ثانياً : **الأسلوب**	128
1) أسلوب الأمر	132
2) أسلوب النفي	133
3) أسلوب الشرط	135
4) أسلوب الطباق	135
5) أسلوب المراجعة أو الحوار	137

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6) أسلوب السرد القصصي	138
7) أسلوب النداء	139
فنون بديعية أخرى	140
أ) التورية	140
ب) التوجيه	142
ج) الاقتباس	145
د) التضمين	147
ثالثاً : الصورة الشعرية	148
الصورة المفردة والجزئية	149
الصور المركبة	150
1) الصورة البصرية	151
2) الصورة السمعية	153
3) الصورة الشمية	154
4) الصورة الحركية	155
5) الصورة الإيحائية	157
الخاتمة	159
التراجم	161
قائمة المصادر والمراجع	169

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذي سخّر لنا سُبل الهداية والعلم ، أحمده حمداً كثيراً كما ينبغي لجلالِ وجهه وعظيم سلطانه ، وأصلي وأسلم على حبيبه المصطفى محمد خير البريّة أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وبعد :

امتلأت المكتبات بنتاج العلماء والأدباء في العصر المملوكي الأول ، فكان صفحةً من صفحات تاريخنا العربي التليد ، وأدبنا العتيد الذي لا يستطيع من يقرأه إنكار ما فيه من صونٍ لأمجادِ أمتنا وحفاظٍ على تراثنا الذي نعتزُّ ونفتخر به .

ولقد كان الأدب في هذه الحقبة وسيطاً بين التقليد والتجديد ، فلا يمكن التغاضي عما في أدب هذه الفترة من إبداع ، بالرّغم من ابتعاده أحياناً عن القوة والجزالة التي كانت من قبلُ. ولعلَّ أجملَ ما نقع عليه في سمات هذا الأدب البساطة المتناهية الممزوجة بالواقعية المتناهية أيضاً .

كل ذلك كان حافِزاً لاختيار هذا العصر الأدبي مجالاً للدراسة ، أما موضوع السُّخرية – فما أحوجنا إلى اتباعه في عصرنا الحالي – حيث تختلف العصور والحال واحدة تقريباً .. فالسّخرية تجسّد المعاناة والألم والنقد الاجتماعي والسياسي بلسانٍ هَزلي فكه ، فتجمع بين الجد والهزل .. وتترك في النفوس انطباعاً قوياً ، وتؤثر في القلوب تأثيراً عميقاً ، حتى أنها في تأثيرها أشد من الهجاء البحت أحياناً .. كل ذلك كان له تأثير في اختياري لهذا الموضوع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد واجهت في عملي مجموعة من الصعوبات ، منها ما هو متعلّق بجمع المادة ، حيث إنّ بعض شعراء هذه الحقبة ليس لهم دواوين تجمع أشعارهم فهي متناثرة في مصادر مطبوعة وأُخرى مخطوطة . ومن الصعوبات ما هو متعلق بأوضاعٍ خاصةٍ منعتني من السّفر والحصول على مصادر أكثر للدراسة .

أما فيما يتعلّق بالمنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة ، فكان المنهج التكاملي ، حيث اقتضت الحاجة في الدراسة إلى الجمع بين أكثر من منهج ، فكان المنهج التاريخي للتأريخ للشعراء ولبعض الحوادث المتعلقة بأشعارهم ، والمنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص وبيان خصائصها وأغراضها ، وكان المنهج النفسي الذي فيه عَرَضت لنفسيات الشعراء وحالاتهم الانفعالية والاجتماعية التي دفعتهم لنظم الشعر في موضوع السُّخرية .

أما فيما يتعلق بهيكلِ البحث ، فقد ارتأيتُ تقسيمه إلى تمهيدٍ وستة فصول .

أما التّمهيد فقد تحدثتُ فيه عن مفهوم السخرية وعلاقتها بالمجتمع وأنواعها والأساليب المتبعة فيها وأسباب اللجوء إليها .

وأما الفصل الأول فكان بعنوان السخرية من ملامح الإنسان الخارجية المتعلقة بأعضاءِ الجسم واللحية والهيئة العامة .

وأما الفصل الثاني فالسخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته ، حيث السّخرية من ضيق الحال والفقر وكذلك البخل ، والسخرية من الغباء والثقل والسخرية من الأنساب والسخرية من التناقض في حياة الشخص ، وأخيراً السخرية من عادات اجتماعية سيئة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما الفصل الثالث فكان في السخرية من فئات اجتماعية مختلفة حيث لم تسلم فئة تقريباً من سخرية الشعراء فقد سخروا من المرأة ، وسخروا من الحرفيين وحرفهم ، ومن الأدباء وأدبهم، ومن أهل العلم والفضائل وجعلوا نصيباً من السخرية للمغنين والمغنيات ، وحتى الخدم الذين لا يملكون من أمرهم شيئاً لم يسلموا من سخرية الشعراء وسخر الشعراء من مواقف متعددة أدرجتها تحت عنوانٍ واحد .

أما الفصل الرابع فكان في السُّخرية السِّياسية في الشّعر ، وقسمته إلى قسمين الأول السخرية من الملوك والأمراء ، والثاني : السخرية من موظفي الدولة .

أما الفصل الخامس فسخرية دينية تتمثل في السُّخرية من المتصوفة والتطاولِ على الشريعة والسخرية من أهل الذّمة من يهودٍ ونصارى .

وأخيراً ، الفصل السادس ، ويتمثل في الدراسة الفنية ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث: الأول : اللغة ، والثاني : الأسلوب والثالث : الصورة الشعرية .

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضَمّنتها أهم النتائج لدراستي ، ثم كتبت في نهايته قائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها .

وأما مصادر البحث ، فأَهمها كتب التراجم وتاريخ الأدب ومنها الوافي بالوفيات للصفدي والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد. أما المراجع فكان أهمّها كتاب عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي لمحمود رزق سليم وكتاب آفاق الشعر في العصر المملوكي لياسين الأيوبي . ولا أغفل عن ذكر دواوين الشعراء المتوافرة في المكتبات أيضاً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الدراسة الفنية اعتمدت على عددٍ من الكتب منها تحرير التحبير لابن أبي الأصبع والعمدة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني وغيرها .

هذا هو محتوى العمل الذي قمتُ به بإيجاز .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّمهيد

السُّخرية وعلاقاتها

أ- مفهوم السُّخرية .

ب- علاقة السُّخرية بالمجتمع .

ج- أنواع السُّخرية :

1- السُّخرية الاجتماعية .

2- السُّخرية السياسية .

3- السُّخرية الدينية .

د- أساليب السُّخرية .

هـ- أسباب اللجوء إلى السُّخرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- مفهوم السُّخرية :

لغة : من الفعل سَخِر . نقول سَخر منه وبه سَخْراً وسّخّراً ومَسْخراً وسُخراً بالـضم ، وسُخرةً وسِخرياً وسُخرياً وسخريّة أي هزء به . [1]

اصطلاحاً : السُّخرية نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثّقافي الذي يقوم على أساس انتقاء الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية فردية كانت أم جماعية ، وكأنها عملية رصـدٍ أو مراقبةٍ لها ، وتكون في أساليب خاصة منها التهكم أو الهزل أو الإضحاك ، كلُّ ذلك في سبيل التخلّص من خصال وخصائص سلبية .[2]

ب- علاقة السُّخرية بالمجتمع :

امتاز الشعر في العصر المملوكي بواقعية التصوير ، حيـث اسـتمد الـشعراء مـادة صورهم الجزئية من واقع مجتمعهم ، بل صوّروا هذا الواقع في شتى مجالاتـه ، فـصوّروا الجوع والفاقة والحرمان ، وأبرزوا واقع التحلل الخلقي والاجتمـاعي [3] كمـا عبّـروا عـن مجتمعهم ومجريات أحداثه ، ونفّسوا من خلال الشعر عما يسري بأنفسهم من مشاعر بأسلوب متهكم ساخر يهدف إلى التخلص من الخصال السّلبية في مجتمعهم .

---

(1) ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة سَخِر.

(2) ينظر : عبد الحميد ، شاكر ، **الفكاهة والضحك** ، 51.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 444.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل ذلك يدفعنا إلى القول إن البيئة الإجتماعية للشعب العربي تجتر آلامهـــا وآمالهـــا ، وتشكو وتكتم ، أو تُسري عن نفسها بالسُّخرية والنكتة والفكاهة والنقدة اللاذعة العابرة . [1]

جـ - أنواع السُّخرية :

1- السُّخرية الاجتماعية :

وينطوي تحتها فن الشكوى ، ونراه في النقد الاجتماعي أو في الشعر الفكاهي ، ولعلّ الفكاهة كانت أمس به وألصق ، بل لعلها كانت مظهراً من مظاهره ووسيلة مـــن وســـائله [2] حيث ذهب الشعراء إلى تصوير فقرهم بطريقة ساخرة . وأبرزوا من خلالها بيان المفارقـــات بين الفقراء والأغنياء ، وفي سبيل إبراز هذه المفارقة اتخذ الشعراء من أنفسهم ومـــن حيـــاتهم ودورهم مادةً لما يعرضونه من صورٍ ساخرةٍ تبرز عناءَ الناس وشقاءهم . [3]

كما نجد في هذا النوع من السخرية ملامح الإنسان الخارجية في الـــشعر ، ومقابلهـــا الجوانب المعنوية في ذات الانسان وحياته كالبخل ، والغباء والثقل ، وغيرها .

كما سَدّد الشعراء سهام سخريتهم نحو عادات اجتماعية سيئة برزت في عصرهم .

وفي السخرية الاجتماعية كذلك نجد سخريةً من فئات اجتماعية مختلفة مثل المرأة التي تصل السخرية ذروتها منها في الوصف والغمز واللمز عندما يتعلق الأمر بالشيب والشيخوخة عندها . [4]

---

(1) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 214/7.

(2) ينظر : نفسه ، 30/7.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 160.

(4) ينظر : القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجد سخرية من الحرفيين وحرفهم ومن الأدباء وغير ذلك من جوانب السخرية الاجتماعية التي تظهر الروح الفكهة عند المصريين .

2- السُّخرية السياسية :

برز بعض الشعراء في العصر المملوكي في باب النقد السياسي [1] وهو نوع إيجابي من الهجاء تجاوز حدود الفردية الضيقة ، ليتناول المثالب ذات الآثار السلبية في المجتمع [2] حيث كان الشعراء يسخرون مما جنته البيئة السياسية وينعون عليها جهلها أو تجاهلها لأمور العامة.[3]

3- السُّخرية الدِّينية :

أثرت بعض المذاهب والتيارات الدينية التي كانت شائعة في العصر المملوكي في الشعراء ، فبروا ألسنتهم في الهجاء والسخرية من كل ما هو مثير للهزل .

كما كان للحروب الصليبية التي كانت مشتعلةً آنذاك أثرٌ في توقد الصراع بين المسلمين والأقباط ، مما دفع المسلمين إلى هجاء الأقباط والسخرية منهم [4] ومن كل من يواليهم أو يوظفهم.

---

(1) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 13/7.

(2) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 164.

(3) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 13/7.

(4) ينظر : الفقي ، محمد كامل ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 136.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- أساليب السُّخرية :

نضح العصر المملوكي بلون الهجاء الساخر الذي يصور الشاعر من خلاله خصمه تصويراً كاريكاتورياً مضحكاً . ويمتاز هذا الأسلوب بالرّشاقة والبعد عن الفحش والابتذال ، والأهم أنه يصدر عن طاقة ذهنية ساخرة ومُبدِعة تعتمد على فنٍ أصيل وروح مرحة ضاحكة.[1]

وهناك الحيز العبثي الساخر الذي لا يخلو من التجريح ، ولكنه تجريح لا يصل إلى هتك الأعراض كما يقول ياسين الأيوبي[2].

وقد كانت السخرية سلاح كثير من الشعراء ، وكان لكل شاعر طريقته وأسلوبه ، فمنهم من اكتفى باللمزة الخاطفة ، ومنهم من تفنن في تضخيم العيوب وتجسيد النقائص ، ومنهم من كان يلمز بخبثٍ وكأنَ الأمر لا يعنيه ، أو كأن الأمر جاءَ عَرَضاً . [3]

هـ - أسباب اللجوء إلى السُّخرية :

هناك من الشعراء من لجأ إلى السخرية بهدف التلهي والضحك ، ودفع السآمة والملل، ورفع كابوس الهم والحزن ، وإبعاد النفس عن مشاغل الحياة بإطلاقها من أسرِ الجد . [4]

ولكن شعراء آخرين لجأوا إليها لإبراز عيوب المجتمع ، أو للتنفيس عن مشكلاتهم في الحياة بطريقة ساخرة ضاحكة . [5]

---

(1) ينظر : هداره ، محمد مصطفى ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري** ، 436.

(2) ينظر : **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 183.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 157. .

(4) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 411/7.

(5) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 291/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأهم ، أن بعض الشعراء وعوا مسؤوليتهم الأدبية ، وموقعهم المميز ، فأشاروا إلى مواضع الفساد والإفساد والتّزلف والرّشوة والجهل وغير ذلك بهدف إصلاح المجتمع والقضاء على مظاهر الفساد فيه . [1]

ومن الشعراء من سخر لأهداف سياسية بحيث سعوا إلى وضع حَدٍّ لممارساتٍ سياسية ودينية غير مقبولة والتحريض عليها بهدف القضاء عليها ، وتنقية المجتمع من آثارها السلبية.

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 277.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

السُّخرية من ملامح الإنسان الخارجية في الشّعر .

أولاً : السُّخرية من الهيئة العامة .

ثانياً : السُّخرية من أعضاء الجسم.

ثالثاً : السُّخرية من اللحية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

السُّخرية من ملامح الإنسان الخارجية في الشّعر

أولاً : السُّخرية من الهيئة العامة للجسم :

يُعَدّ الجمال الموضوع الأسمى لروائع الأدب الغنائي والغزل الرَّقيق ، ومقابله " القبح " الذي أصبح الموضوع الطبيعي للسخرية والكوميديا والهزل ، ومن هُنا ، غدا الظرفاء يتهربون من التقزز منه إلى التّهكم به [1] فقد سخر الشعراء في مواقف كثيرة من أناس وجدوا فيهم العيوب، أو بعض مظاهر القبح ، ولكن السخرية – باعتقادي – كانت نابعة في معظم الأحيان من حالةٍ نفسية يُعانيها الشاعر حيث الغيظ والغضب من المهجوّين الذي أجَّج المشاعر السلبية في قلوب الشعراء فتحوّلت إلى نيرانٍ نفثوها في وجه المهجوين ، كلها سخرية وتهكم .

فالبهاء زهير ، يسخر من أحد الثقلاء ، مصوّراً مظهره بالوعر ، ومُعتبراً بعده عنه الرّاحة الكبرى ، ولربما لم يكن في هذا المهجو عيوباً تُذكر لكن هذا المظهر ارتسم في مخيلة الشاعرِ تماشياً مع ثِقل دم المهجو يقول : [2]

أرحنـــي مِنـــكَ حَتّـــى لا ... أرى مَنظَـــرَكَ الـــوَعرا
فقَـــد صِـــرتُ أرى بُعـــدَ ... كَ عَنّـــي الراحَـــةَ الكُبـــرى

ويقول في شخص آخر : [3]

وَأسوَدَ مافيهِ مِنَ الخَيرِ خَصلَةٌ ... لَهُ زَفرَةٌ مِن شَرِّهِ وَشُواظُ
خَلائِقُهُ وَالفِعلُ وَالوَجهُ وَالقَفا ... قَبائِحُ سوءٍ كُلُّها وَغِلاظُ
غُرابٌ وَلَكِن لَيسَ يَستُرُ سَوأَةً ... وَكَلبٌ وَلَكِن لَيسَ لَها حِفاظُ

---

(1) ينظر : القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 74.

(2) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 143.

(3) نفسه ، 191.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هنا يشوّه الشاعر المهجو خَلقاً وخُلقاً ، مفتتحاً سخريته بذكر سواده ونفي كلّ الصفات الحسنة والخصال الحميدة عنه ، ويُبَيّن لنا وجه الشبه بين خلائقه وأفعاله ووجهه وقفاه ، فكلها قبائح سوءٍ على حَدّ سواء . ويُمعن أكثر في السخرية منه حين يشبهه بالحيوانات ، فهو كالغراب قبحاً وكالكلب في سوء طبعه .

ويقول في آخر : [1]

وَأسوَدُ شَيخ في الثمانينَ سِنُّهُ غدا وَجهُهُ مِن أبيَضِ الشَيبِ أبلَقا[2]

مَرّة أُخرى يستغل الشاعر سواد اللون للسخرية من مهجوّه ، ويمزج بين سواد اللون وبياض الشيب جاعلاً منهما مادة للتهكم .

ويستغل الجزار كذلك صفة السّواد للسخرية من شاعرٍ أسود نالَ من السّلطان رزقاً ومالاً، الأمر الذي أغاظ الجزار فسخر من شكله ومظهره قائلاً : [3]

غَيْرُ خافٍ عَنْك الذي ناله الأسودُ بالأمْس من ندى السُّلطان
وتمشّيه بالعمامة والثوبِ ومنديل الكُمِّ والطيلسان[4]
قُلْتَ : إذا فُصِّلت عليه أرى الزّخرف يُتلَى بالنَّص فوق الدَّخان

يسخِّر الجزار في الأبيات السابقة أسماء السور القرآنية لخدمة غرض السخرية من هذا الشاعر الأسود ، موضحاً أن لباسه الجميل وتمشيه بالعمامة والثوب والأكمام والطيلسان غير كفيلة بإخفاء صفات القبح عنه ، فهو في زينته إن أردت تفصيلاً كالزخرف فوق الدخان.

---

(1) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 235.

(2) البلق : سواد وبياض ، ويقال للدابة أبلق وبلقاء ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة بَلَق.

(3) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 327.

(4) الطيلسان ، ضربٌ من الأكسية ، وهو ليس بعربي ن أصله فارسي ، إنما هو تالشان فأعرب ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة طَلَس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسخر صفي الدين الحلي من متكبّرٍ جهم الوجه بقوله : [1]

لِـيَ جـارٌ كَأَنَّـهُ البـومُ فـي الـشَكلِ وَلَكِـــن فـــي عُجبـــهِ فغُـــرابُ

فشكل المهجو شبيه البوم ، وفي تكبّره وعُجبه هو كالغراب البعيد كلّ البعد عن الجمال الذي يدعو إلى الكِبَر والتيه والإعجاب بالنّفس .

ثانياً : السُّخرية من أعضاء الجسم:

سخر الشعراء من أعضاء مهجويهم وخصوصاً العاهات الجسدية كـــالعور وغيـــره .

فيسخر صفي الدين الحلي في أبيات له من رجلٍ عظيم الأنفِ ، قائلاً : [2]

لَـو غَـدا أنفـكَ العَظـيمُ غَـدا وَهـ وَ وَقـــودٌ لِلنـــار ذاتِ الوَقـــودِ
ثُـمَّ قـالوا: هـلا اِمـتلأتِ لَقالَـت: هُـوَ حَـسبي وَلَـم تُـرد مِـن مَزيـدِ

فهو يشبّه أنف مهجوه بمخزن وقودٍ لنار جهنّم ، ومن عظمه وكبـــره سَـــدّ حاجتهـــا ، فقالت حين سُئلت هَلا امتلأت : إن هذا الوقود من هذا المخـــزن سَـــدّ حاجتهـــا ، ورفـــضت المزيد، وكل هذا جاء في إطار سخرية شديدة من هذا المهجو وأنفه .

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 534.
(2) نفسه ، 532.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما ابن دانيال ، فيجعل من رؤيته لوجهه في الماء قِصَّة فكاهية قــام بنــسجها وتَتَبُّــع جزئياتها ليكوّن مشهداً يتفق مع طبيعته [1] حيث يقول : [2]

وَلَكَمْ قد رأيتُ في الماءِ شيخاً ... وهو جاثٍ في الحبِّ كالعيار
شيخُ سوءٍ كالثلج ذقناً ولكن ... وَجهُهُ في سوادِهِ كالقار
أشبَهُ النّاسِ بي وَقد يشبه التّيـ ... ـسُ أخاهُ في حَومةِ الجزّار
فأعتَراني رُعْبٌ وَناديتُ ما كُنْـ ... ـتُ أخالُ اللصوصَ في الأزيار

وله أيضاً في تصوير نَفْسَه : [3]

له صورةٌ يُسْتَحن القردُ عندها ... على أنَّ وجهَ القردِ أحسنُ منظرا
إذا ما ابتداني بالحديثِ حَسِبْتُهُ ... تَسَوَّكَ من فرطِ النتّونةِ بالخرا

فصورته قبيحة لدرجةِ أن القِرد إذا ما قُورن بها استحسنَ مظهره ، وليس هذا فقــط ، بل إنه إن تَحدّثَ كانت لفمه رائحة كريهة جدّاً ، وكأنها – لفرط نتونتها – ناتجة عــن تــسَوّك الشاعِر بما ذكره في نهاية البيت الثاني .

وابن دانيال هُنا يحاكي الحطيئة الذي لم يجد من يهجوه في آخر المطاف ، فهجا نفسه في حديثه عن صورته التي رآها في الماء [4] وذلك حين قال : [1]

أرى لِيَ وَجهاً شَوَّهَ اللّهُ خَلقَهُ ... فقُبِّحَ مِن وَجهٍ وَقُبِّحَ حامِلُه

ويتتبع ابن دانيال الشواذ من ذوي العاهات فيستوقفهم في مخيلته ، ورسم لهم صــورةً ساخرةٍ[2] ومن ذلك ما قاله في أَقْطع : [3]

---

(1) ينظر : القباني ، عبد الحليم ، **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 101.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 180.
(3) نفسه ، 175.
(4) ينظر : القباني ، عبد الحليم ، **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأقطـــــــع قلـــــــتُ لـــــــهُ هَـــل أنـــتَ لـــصٌ أوحَـــدُ
فقـــــالَ: هـــــذي صَـــــنْعَة لـــم يَبْـــقَ لـــي فيهـــا يَـــدُ

ومثله شمس الدين بن الصائغ الذي سَخِر من من رجلٍ أقطع في قولِه : [4]

تجنّـب كُـلَّ أقطـع فهـو لِـصٌّ يُريـدُ لـك الخيانَـة كُـلَّ سـاعَهْ
ومـا قطعـوه بعـد الوصـل لكِـن أرادوا كفَّـهُ عَـن ذي الـصّناعَهْ

ويقول ياسين الأيوبي إن الشاعِر ينسج خيوطه من ثوب المهجو نفسه ، حيث يتلاعب بلفظ العاهة الجسدية عابثاً بصاحبها من غير خَدشٍ أو تجريح ، ويرى أنه هجاء لطيف فيه شيءٌ من التَّسلية . [5]

ولكن برأيي أيُّ لطفٍ في هذه الأبيات ، وأين هو العبث الذي لا يخدش ولا يجرح !؟ إنّ الشاعر هنا كانَ جارحاً وقاسياً لأنه ليس كلّ أقطع بالضرورة لصاً ، ولكن الشاعِر تَسرّع في إطلاق حكمه وتعميمه .

أما محيي الدين بن الطاهِر فيقولُ ساخِراً من رجلٍ أعور: [6]

وأعْـور العـين ظـلّ يكـشفها بـلا حيـاءٍ مِنـه ولا خِيفـهْ
ولـيسَ يُلقـى الحيـاءُ عِنْـدَ فتـىً عَوْرتـه لا تـزال مكـشوفهْ

نرى في البيتين السابقين كيف أن سخرية الشاعر امتزجت بالقسوة والتجريح ، وابتعدت عن حِسِّ الفكاهة والضحك .

ومثله ابن الوردي الذي سَخِر من رجل أعور ، حيث قال : [7]

لا تـــــصحبنَّ أعـــــوَرا وإنْ تنـــــاهى زينُـــــهُ

---

(1) الحطيئة ، **ديوانه** ، 257.
(2) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 172/2.
(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 104.
(4) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 196/8.
(5) ينظر : **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 184.
(6) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 254.
(7) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 268.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لـــوْ كـــانَ فيـــهِ راحـــةٌ مـــا فارقتْـــهُ عينُـــهُ

فالشاعر استغل هذه العاهة ، محاولا الإضحاك ، ساخِراً منها على سـبيل المـزاح ، غير آبِهٍ ولا مبالٍ بمشاعِر أصحابها .

ويقول أيضاً ، ولكن هذه المرّة في أعورين : [1]

أعـــورُ بـــاليمنى إلـــى جنبـــهِ أعـــورُ باليـــسرى قـــدِ انـــضما
فقلـتُ يـا قـومُ انظـروا واعجبـوا مـــن أعـــورين اكتنفـــا أعمـــى

مَزَح الشاعر في صورة شعرية غريبة بين أعورين جَعَل بينهما أعمى ، ورسـم لنـا صورة يمكن طبعها في أذهاننا لنرى من خلالها عملية اندماج الأعورين ليكونا اعورين بينهما أعمى .

من خلال ما سبق نرى كيف تَفَنّن الشعراء في السّخرية من هيئة الجـسم وأعـضائه ولونه وأمعنوا في السخرية ، حتى جاءتنا هذه الصّور الفكهة المـضحكة أحيانـاً ، والمقـززة القاسية أحياناً أخرى .

(1) نفسه ، 239.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : السُّخرية من اللحية :

كان للحية نصيب كبيرٌ في الشعر ، ولقد أحبّها العرب واحترموا أربابَهـا ، وجعلوهـا مظهراً من مظاهر الوقار ، وشعاراً من شعارات الرجال المتمسكين بدينهم ، ولأنّهم أحبوهـا ، كرهوا من يستغلونها ويتخفون وراءَها ، موارين جهلهم وسوء خُلقهم خلفها [1] فسخر الشعراء من هؤلاء الذين يستغلون اللحية وجعلوا موضع سخريتهم اللحية نفسها .

يقول الخياط الدّمشقي في هجاء رجلٍ ملتحٍ : [2]

كم تُظْهر الحُسنَ البديع وَتدّعي ... وبياضُ وجهك في النّواظِرِ مُظْلِمُ
هـل تَـصْدقُ الـدّعوى لمـن فـي وجهـــــــــــــــــهِ ... بالـذّقن كَذَّبــه الــسَّوادُ الأعظـمُ

يَسْخَرُ الشاعِر من هذا الشخص الذي يدّعي الورع والتّقوى مُظهراً الحسن البديع مـن خلال التحائه ، فيلتفت الشاعر حَول هذه اللحية التي استغلّها مهجوه للتدليل على تقواه ، بحيث حَوّلها الشاعر إلى دليلٍ على كذب هذا الملتحي وسوء ادّعائه .

ومن الشعراء الذين فاضت قرائحهم في هذا الشأن البهاء زهير حيث يقول فـي شـيخٍ ملتحٍ:[3]

وَأسـوَدُ شَـيخٍ فـي الثّمـانينَ سِـنُّهُ ... غَدا وَجهُهُ مِن أبيَضِ الشَيبِ أبلَقا
لَـــهُ لِحيَـــةٌ مُبيَـــضَّةٌ مُـــستَديرَةٌ ... أشَـــبِّهُهُ فيهـــا عُقابـــاً مُطوَّقـــا

فالشاعر يجعل من لحية هذا الشيخ العجوز مادة للـسخرية منـه ، فلحيتـه مبيـضّة مستديرة ، ووجهه الأسود مغمور تحتها ، ومع هذا البياض وهذا السواد تحته غدا هذا الرجـل كالعُقاب ، وأي عُقاب ؟ عقابُ مطوّق بالبياض .

---

(1) ينظر : أمين ، بكري الشيخ ، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني** ، 145.
(2) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 302/4.
(3) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وله قصيدة في أحمقٍ ملتحٍ ، يستطرد فيها في وصف لحيته ، متفنناً في السخرية ، مُغالياً في التهكم ، حيث يقول : [1]

وَأحمَـــــق ذي لِحيَـــــةٍ كَبيـــــــرَةٍ مُنتَـــــــشِرَه
طَلَبـــتُ فيهـــا وَجهَـــهُ بـــــشِدَّةٍ فَلَـــــم أره
مَعرِفـــــــةً لَكِنَّـــــهُ أصـــــبَحَ فيهـــا نَكِـــرَه

الشاعر يربط هنا بين الحمق واللحية ، حيث يُستَدل على الحمق بطول اللحية كما يُقال، لأن مخرجها من الدّماغ ، فمن أفرط في إطلاق لحيته قَلَّ دماغه ، ومَن قلّ دماغه قَلَّ عقله ، ومن قلّ عقله فهو أحمق . [2]

وهذا الأحمق الذي يتحدث عنه الشاعر أصبح نكرةً مجهول الهوية لأن لحيته الكبيرة المنتشرة تُخفي معالِمه ، ويُكمل الشاعر : [3]

ثَـــورٌ غَـــدا أعجوبَـــةً بِلِحيَـــــــةٍ مُـــــــدَوَّرَه
لَـــو كـــانَ ذاكَ الثَـــورُ عِـــجَ لاَ عَبَدَتـــــهُ الـــــسَمَرَه
تَبّـــاً لَهـــا مِـــن لِحيَـــةٍ كَبيـــــــرَةٍ مُحتَقَـــــــرَه

ينعت الشاعر مهجوّه بالثور الذي غدا أعجوبةً بلحيته المدوّرة ، ويلعن هذه اللحية المحتقرة ، ثم يكمل قائلاً : [4]

عَظيمَـــــــةٍ لَكِنَّهـــــا لَيـــسَت تُـــساوي بَعَـــرَه
كَـــم قريَـــةٍ لِلقَمـــلِ فـــي حافَاتِهـــــا وَمَقبـــــرَه

---

(1) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 162.
(2) الأبشيهي ، **المستطرف من كلّ مُستَظرف** ، 16/1.
(3) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 162.
(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 162.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا أجادَ الشاعِر في امتهان هذه اللحية رغم عظم حجمها ، وصَوّرها لنا أرضاً أنشأ القمل عليها قُراه ، فيها حياته ومماته . وهذه صورة ساخرة ومقززة ولكنها مضحكة في الوقت نفسه .

بعد ذلك يبدأ الشاعر بنظم كلماته لِتَنْطَبعَ في أذهاننا على شكل رسومات كاريكاتورية ، تدعونا للضحك حين يقول : [1]

قد نَبَتَت في وَجهِهِ فوقَ عِظامٍ نَخِرَه
باردَةً ثقيلَةً مُظلِمَةً مُكَدَّره
كأنَّها سَحابَةٌ فوقَ البلادِ مُمطِرَه
ماكانَ قطُّ ربُّها مِنَ الكِرامِ البَرَرَه

وكأنه ينقل لنا حالة الطقس من خلال وصفه لهذه اللحية ، حيثُ البرد والثقل والظلام والتكدّر ، ويصفها بالسّحابة السوداء الثقيلة الممطرة التي تُغطي البلاد ، وينفي في البيت الأخير صفة الكرم والجود عن صاحبها ، كل ذلك في إطارٍ مضحكٍ أتْحَفَنا به فأضحكنا .

ويختم الحديث عن هذه اللحية بقوله : [2]

مُضحِكَةٌ ما كانَ قطُ مِثلُها لَمَسخَرَه

أما ابن الوردي فيقول في شخصٍ لحيته طويلة : [1]

لحيتُهُ طويلةٌ قدْ أثقلَتْ أحناكَهُ
لو غاصَ في البحرِ بها لعرقلَتْ أسماكَهُ

تصوير طريف للحية هذا الرّجل ، إذ جعل الشاعِر منها شبكةً تعرقل أسماك البحر وتكون بمثابة قصيدة لو غاص صاحبها في البحر .

وبهذه الأبيات الطريفة ننهي حديثنا عن السخرية من اللحية .

---

(1) نفسه ، 162-163.

(2) نفسه ، 163.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 394.

www.manaraa.com

الفصل الثاني

السُّخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته في الشعر

أولاً : السُّخرية من ضيق الحال .

ثانياً : السُّخرية من البخل .

ثالثاً : السُّخرية من الحمق والثّقل .

رابعاً : السُّخرية من الأنساب .

خامساً : السُّخرية من التناقض في حياة الشخص .

سادساً : السُّخرية من إخلاف الوعد .

سابعاً : السُّخرية من مفاسد إجتماعية وأخلاقية أخرى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

السُّخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته في الشعر

أولاً : السُّخرية من ضيق الحال :

"تنوعت شكاوى الشعراء ما بينَ توجّع وتَذَمّر ونفور"[1] ولَعَلَّ أولَ ما يُلاحظ عندهم هو الشكوى الدائمة من جور الزمان ، ومن سوء الحظ ، حيث حكِم عليهم بالفقر والعازة والفاقة [2] فمنهم من رَزَخ تحت أَثقال الفقر والعوز ، وضاقت به الدنيا ، إنطلاقاً من حجرته الضيّقة ، وثيابه الرّثة ، وطعامه النادر ، مما جعله عنوان زمانِه في عُسْرِ الحال ، وشدّة الهزال وتقلب الأيام. [3]

ولعلّ أول الشعراء الذين تجدر الإشارة إليهم ، الجّزار ، الذي بالغ في وصف فقره وشكوى حالِه وفاقته حتى انقلب عنده الأمر إلى سخرية وضحكٍ ، ومن ذلك صوره الطريفة المضحكة التي قالها في وصف داره الخربة ، حيث قال : [4]

ودار خرابٍ بها قد نزلتُ ... ولكن نزلتُ إلى السّابعَهْ
طريقٌ من الطّرق مسلوكةٌ ... محجّتها للورى شاسِعَهْ
فلا فَرْق ما بينَ أنّي أكون ... بها أو أكونُ على القارعَهْ
تساورُهَا هفواتُ النَّسيم ... فتُصْغي بلا أذنٍ سامِعَهْ
وأخشى بها أن أقيمَ الصَّلاةَ ... فتسجُدُ حيطانها الرّاكِعَهْ
إذا ما قرَأتُ إذا زُلزلَت ... خشيتُ بأن تقرأ الواقِعَهْ

" حلقات من المشهد المسرحي السَّاخر ، وسُلَّم من المعاني والصّور المتدرّجة عمودياً وأفقياً من البسيط إلى المركب ومن العام إلى الخاص" [1] ففي البيت الأول يجعل الشاعر داره

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 307.
(2) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصّناع وأرباب الحرف ، 224.
(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 307.
(4) الحموي ، ابن حجّة ، خزانة الأدب ، 251.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخربة لا على الأرض ، وإنما في قاعِها ، في سابع أرض . ويجعلها في البيت الثاني محجَّة للناس الأمر الذي يجعلها بمثابة القارعة كما يقول في البيت الثالث . حتى أنّه لشدةِ خرابها يخشى إقامَة الصلاة فيها فتسجد حيطانها الراكِعه ، ويخاف من قِراءة سورة "الزلزلة" فيها خشية قِراءتها "الواقِعة" .

ويظهر أن الجزّار كان يُكثر من إضحاك الناس على حياته ومعيشته ، ولم يكن يُبالي في سبيل ذلك أن يصفَ داره وصفاً مضحكاً ، أو أن يصف بعض ثيابه وملابسه [2] كما في قوله: [3]

لي نِصفيّة تُعَدُّ من العُمْر ... سنيناً غَسَلْتُها ألْفَ غَسْلَهْ
كّلُّ يومٍ يَحوطُها العَصرُ والدّقُ ... مِراراً ولن تُقِرَّ بعُمْلَهْ
أين عيشي بها القديمُ وذاك ... التّيه فيها وخَطْرَتي والشَّمْلَهْ
حيثُ لا في أجنابها رُقْعَة قطُّ ... ولا في أكمامِها وَصْلَهْ

فهذه " النصفية " لطالما لُبست وصُبِغت ، تُدق وتُعصر كلّ يوم ولكن بلا فائدة ، ويتحسر الشاعِر عليها إذ يتذكرها عندما كانت جديدة خالية من الرّقع والوصلات ، كلّ ذلك للدلالة على اهترائها الحالي ، كل هذا بأسلوب فكهٍ ساخر .

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 385.

(2) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 78.

(3) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 304/1 و الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 287/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول في أبياتٍ أخرى : [1]

لـي مـن الـشّمس خِلْعَـة صـفراءُ ... لا أبـــالي إذا أتـــاني الـــشّتاءُ[2]
ومـن الزّمهريـرُ إذا حَـدَث الغـيمُ ... ثيـــابي وطَيْلـــساني هَـــوَاءُ
بيتـي الأرض والفـضاءُ بـه سـو ... رٌ مُـدَارٌ وسـقفُ بيتـي سـماءُ
لو تراني في الشمس والبرد قدْ ... أنحْـل جـسمي لَقُلْـتَ إنّـي هَبَـاءُ
لـي من الليل والنهار على الطّو ... لِ عـــزاءٌ لا ينقـــضي و هَنَـــاءُ

لا يسخر الشاعر هُنا من ملابسه ، لأنَّه لا مَلابس له ، فمن الشمس له خلعة صفراء ، وثيابه وطيلسانه الهواء ، أما بيته فالأرض وسقفه السّماء . ولا يأبه الشاعِر من السّخرية مـن نفسه حين أنْحَل البرد جِسمه فصار كأنّه هَبَاء . ويتحدث الجزّار عن البرد في مَوضِـع آخـر حيث يقول:[3]

أدركـوني ، فُبـي مـن البـردِ هَـمٌّ ... لـيسَ يُنْسَى وفـي حشايَ التهـابُ
ألبـستني الأطمـاعُ وَهُمَـاً ، منهـا ... جـسمي عـارٍ ولـي فِـرى وثيـابُ
كُلَّمـا ازْرَقَ لـونُ جِـسمي مـن ال ... بـــردِ تخّيلـــتُ أنَّـــه سِـــنْجَابُ

يُحْسنُ الشاعر التّخلص من موقفِ التحسر والألم إلى السخرية والضحك ، فبرغم الألم والمرض البادي عليه من خلال شعره ، يسخر من نفسه بأسلوبه الفكه المضحك حيـث يـشبّه نفسه حين يزرق جسمه من البرد بالسنجاب .

وعلى ما يبدو ، فإنَّ بين الشاعر وفصل الشتاء عداوة وكره ، حيث يحدّثنا عنـه فـي مَوضِعٍ آخر بقوله : [4]

إنَّ فَصْلَ الشّتاء مُنْذُ نحا جسمي ... أبْـــدَت بيانَـــه الأعـــضاءُ
فيـــه عظمـــي المبـــرَّدُ إذ عَـــنّ ... واحتمـــــــى الفـــــــرّاءُ

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.
(2) الخلعة من الثياب ، ما خلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه ، وكل ثوبٍ تخلعه عنك هو خلعة . ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة خَلَع.
(3) ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، 293/13. و اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** ، 63/4.
(4) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنه لا يتورّع رغم الألم عن استدرار ثقافته النحوية ، إذ نراه يأتي على ذكر أسماء مشايخ العلوم في معرض سخريته من البرد وفصل الشتاء الذي أنحل جسمه .

وهُنا نرى كيف كان الجزّار يحوّل مأساته إلى فكاهة ، وفقره وفاقته إلى مادةٍ للسخريةِ، فكان شعره " لوحةً متعدّدة الألوان ، صادقة المعاناة ، مثيرة لمشاعرِ الرّضى والسّخط والضحك في آنٍ واحد " . (1)

وقد ذَهَب سراج الدين الوراق مَذْهَبَ صاحبه في شكوى الفقر ، فصوّره بلسانٍ هزلي ساخر مستخدماً مصطلحات العروضيين ، كما في قوله : (2)

قالتْ : جَمعْتَ لِفاقةٍ كَسَلا فـانَهضْ وَقُمْ وادْأبْ لِهَمِّ العَائِلَه
فأجبْتُ هَلْ تَدْرين لي سَبباً فقا لَتْ: لا ولا وَتَداً وَهذِى الفاصِلَه(3)

ومثلما وصف الجزّار نصفيته ، فإنَّ الوراق قد وَصَفَ جُوخته (4) قائلاً(5) :

هذا وجُوختي الزّرقاءُ تَحْسَبها من نَسْجِ داود في سَرْدٍ وإتْقانِ
قلْبْتُها فغَدت إذ ذاك قائلةً : سبحانَ ربّي بَلا قلبي وأبلاني
إنّ النّفاقَ لشيءٌ لَسْتُ أعْرفه ، فكَيفَ يُطْلَبُ مني اليومَ وجهانِ

الوراق هنا لم يشتكِ شكوى الجزار ، ولم يبالغ مبالغته ، ولكنه برع من خلال إقامة حوار لطيف مع جوخته ، أنطقها فيه بالحكمة ، ليصل إلى أنها بالية . (6)

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 185.

(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.

(3) السبب والوتد والفاصلة : من مصطلحات العروضيين فهناك السبب الخفيف والسبب الثقيل والوتد المفروق والوتد المجموت والفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى ، يراجع في كتب العروض .

(4) الجوخ : نسيج صفيق من الصوف ، **المعجم الوسيط** ، مادة جَاخَ .

(5) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

(6) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 250.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الشعراء الذين شكو ضيق حالهم وفقرهم ، ابن دانيال ، حيث سَخِر في أبياتٍ عديدة من نفسه وحالِه وبيته ، ومن أطرف ما يُمكن ذكره له في هذا المجال وصفه لحالِه ولفقره في مسرحيته " طيف الخيال " حيث الفكاهات التهريجية في بعض مشاهدها [1] ومنا قوله : [2]

أصبّحتُ أفقرَ مَن يَروحُ وَيغتدي	ما في يَدي من فاقتي إلاّ يَدي
في مَنزلٍ لم يحَو غيريَ قاعداً	فمتى رَقدتُ رَقدتُ غيرَ مُمَدَّد
لَمْ يبقَ فيهِ سِوى رسومِ حَصيرةٍ	ومخدَّةٍ كانَتْ لأُمِّ المهتَدي
تُلقى على طُرَّاحةٍ في حَشْوها	قملٌ شبيهُ السمسمِ المُتَبَدِّدِ
والبقُّ أمثالُ الصّراصِرِ خِلقةً	مِن مُتَّهمٍ في حَشوها أو مُنْجِدِ

منزل الشاعر ضيق لا يتسع لرقاده ، ليس فيه سوى حصير بل رسوم حصيرة ، ومخدّة قديمة بالية ، وهذه المخدّة محشوّة بالقمل المتبدد الذي يبدو كالسمسم المنثور ، وهي مليئة بالبقِّ والصراصير التي أبلتها وأفسدتها ، كل تلك صور ساخرة ساقها الشاعر ليؤكد أنه أفقر الناس جميعاً وأنه لا يملك من أمره إلا الفاقة والعوز .

ويرى محمود سالم محمد أن ابن دانيال " قدَّم لنا صورة فريدة للفقر المثالي الذي يمكن أن يصيب الناس ، ولولا هذا الفقر ما كان لنا مثل هذا الأدب الذي يعكس وَضْع الفقراء ، وينفّس كربهم ، ويثير تساؤلاتهم الكامنة وراء ما هم فيه من عوز وفاقة ، والتساؤل بداية البحث عن سبيل الخلاص " . [3]

---

(1) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 78.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 154 و حمادة ، ابراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 165.

(3) **أدب الصناع وأرباب الحرف** ، 256.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أعاد ابن دانيال وصف بيته وحاله وصفاً مؤثراً ، حيث بلغ بـــه الـــضيق مبلغـــاً عظيماً ، وضاق صدره من ضيق حاله فقال : [1]

لـم يَبْقَ عِنـدِيَ مـا يُبـاعُ فيُشترَى إلا حَـصيراً قـدْ تَـساوى بـالثَّرَى
فـي منـزلٍ كـالقبر كَمْ قدْ شـاهَدَتْ فيـــه نَكيـــراً مُقلتـــاي وَمُنكـــرا

يجد الشاعر بيته كالقبر ، وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدلُّ على صعوبة عيشه ، ولكن يسخر مفضّلاً القبر على بيته في قوله : [2]

والقبـرُ أهنـا مَـسكناً إذْ لـم أكـنْ مَـعْ ضيق سُكناهُ أطالـبُ بـالكرى

وقد سخر ابن داينال من ملابسه سخريته من منزله ، حيث صَوّر لنا ثوبـــه المرقّـــع بقوله:[3]

هـذا ولـــي ثـــوبٌ تَـــراهُ مُرَقعـــاً مـنْ كُـلِّ لَـونٍ مثـل ريـش الهُدْهدِ

السخرية من ثوبه واضحة ، ولكنها لطيفة مقارنة مع وصفه لجبَّته [4] الباليـــة التالفـــة حيث يقول : [5]

لـــي جَبّـــة فَنيَـــتْ ممّـــا أنَـــشيِّها ومـــا أُخَيِّطُهـــا إلا بأشـــراس[6]
وَرَثَّ شاشـيَ حتـى ظـنَّ مُبـصرهُ أنَّ العناكبَ قد سُدَّت على راسي

فجبَّته لا يقيمها إلا النشاء ، ولا تخاطُ إلا بالأشواك الصغيرة لشدة قـــسوتها ، وشاشـــه تالفٌ رثٌ يظن الناظر إليه أنه نَسْجُ عناكب لشدة وَهنه ، ولأن خيوطه قليلة واهية كذلك .

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 151-152.
(2) نفسه ، 152.
(3) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 167.
(4) الجبّة : ضرب من مقطعات الثياب يُلبس ، وجمعها جُبَب ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة جَبَب.
(5) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 72.
(6) الأشراس : جمع شِرس ، وهو ما صَغُر من شجر الشوك ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة شَرَس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن لم يكتفِ ان دانيال بوصفِ ملابسه البالية التالفة بتلك الصفات ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما وصف نفسه عرياناً وذلك إشارةً إلى انعدام ما يلبسه على جسمه ورأسه وانعدام قيمته المادية ، حين قال : [1]

أوَ ماذا الشّتا أتاني وفوقي جُبّة قد لَبسْتُها من جِلدي
ولِرأسي منَ العمائمِ شَعري ذات مشطٍ أعيى بَنانَ ألمُسَدي

ننتقل من سخرية ابن دانيال إلى سخرية شاعر آخر هو البوصيري ، حيث سخر من فقره بسبب كثرة أولاده ، وشكا من ضيقِ حاله وكثرة أسفاره سعياً وراء الرّزق . [2]

ومن شعره الذي يتحدث فيه عن أحواله الخاصة قصيدة عَرَض فيها شكواه على أحد الوزراء شاكياً فقره وضيق حاله وكثرة عياله بقوله : [3]

يا أيّها المَوْلى الوزيرُ الّذي أيَّامُهُ طائِعَةٌ أمْرَهْ
ومَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ في العُلا تَكِلُّ عَنْ أوْصَافِهَا الفِكْرَهْ

ففي هذه الأبيات محاولة من البوصيري استدرار عطف ممدوحه ، حيث يذكر فيها مدى سوء حاله ، مقدماً لذلك صوراً مؤلمة تثير في النفوس مشاعر الشفقة والرّحمة [4] ولكنها ممزوجة بالسّخرية والضحك في آن واحدٍ حيث يقول : [5]

في قِلَّةٍ نحن ولكن لَنا عائلةٌ في غايَةِ الكَثْرَهْ
صَاموا مَعَ النَّاسِ ولكنَّهمْ كانوا لِمَنْ أبصرهم عِبْرَهْ
إن شَربُوا فالبئْرُ زيرٌ لهُمْ ما بَرحَتْ والشَّرْبَة الجَرَّهْ
لهُمْ مِنَ الخُبَّيْزِ مَسْلوقةٌ في كلِّ يَومٍ تُشْبِهُ النَّشْرَهْ
أقول : مَهما اجتمعوا حَوْلها تَنَزَّهُوا في الماءِ والخُضْرَهْ

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 238.
(2) ينظر : الركابي ، جودت ، **الأدب من الانحدار إلى الازدهار** ، 177.
(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 115.
(4) ينظر : أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدٌ على العصر المملوكي** ، 61.
(5) البوصيري ، **ديوانه** ، 110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكمن الفكاهة في الأبيات السابقة في مشهد تحلّق أولاد الشاعر بعد الصيام حول الخبيزة المسلوقة يسوقها بأسلوب ساخرٍ حيث يجعل من هذه الوجبة نشرة يومية ، ويتابع سخريته من خلال إقناعهم بأن هذا الطعام لا يُمل بقوله : " تنزّهوا في الماء والخضرة " .

ثم يتحدّث عن إقبال العيد عليهم وهُم في أضيق حال ، حيث لا قمح ولا خبز ولا فطر عندهم ، مُعادلاً ومساوياً بين أيام الصوم والإفطار بالنسبة لهم ، حيث يقول : [1]

وأقبلَ العيدُ وما عندهم قمْحٌ وَلا خُبْزٌ ولا فطْرَهْ

وهذه كلها " أبيات مريرة وإن تخلَّلتها الفكاهة ، وسطورٌ باكية وإن مازَجتها النكة " [2]

وشكا ابن دقيق العيد فقره وضيق حاله كذلك ، حيث يقول : [3]

لعمري لقدْ قاسيتُ بالفقر شدة وَقعتُ بهَا فِي حَيْرة وَشَتات
فإنْ بحتُ بالشكوى هتكتُ مروءَتي وإنْ لن أبحْ بالصَّبْر خفْتُ مَمَاتي
وأعظِمْ بهِ مِنْ نَازل بمُلِمَّة يُزيلُ حَيائي أوْ يُزيلُ حَيَاتي

كل ما سبق من أبيات يدلل على قسوة حياة هؤلاء الشعراء وضيق حالهم ، ولكن من الغريب ما يُلاحظ عند بعضهم من سخريةٍ من ركوبهم وحيواناتهم للدلالة على حالهم وللسخرية والهزل . [4]

ومن الشعراء الذي تحدّثوا عن حيواناتهم ابن دانيال ، حيث كان له حمار ، فسخر منه ووصفه وصفاً يدعو إلى الضحك حيث قال : [5]

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 111.
(2) سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 240/7.
(3) الكتبي، ابن شاكر، **فوات الوفيات**، 445/3-446 .
(4) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 260.
(5) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 256.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَقَدْ رَكِبتُ مِنَ الحمير مُكَدَّماً مَكْراً بطيّاً للحران مصاحبا
رجلايَ في جَنْبَيْهِ منذُ رَكِبتُهُ لَنْ يَفْتَرا فَغَدَوتُ أمشي راكبا

فحماره عنيد حرون ، يستمر راكبه في ركله حتى يمشي ، ولذلك يتساوى راكبه مع الماشي لأنه لا ينفك يحرك قدميه كيما يمشي حماره .

ولكن لو نظرنا إلى هذه الأبيات السابقة ، لتساءلنا : هل المقصود بالسخرية فيها الحمار نفسه ؟ أغلب الظن لا ، المقصود صاحب الحمار ، فما الذي يدفعه إلى الصبر على حمارٍ كهذا ؟ إنه الفقر الذي لا يسمح بشراءِ حمارٍ غَيْره.[1]

ولكن يظهر أنه استطاع الاستغناء عن هذا الحمار واستبدله ببرذون ، لكنه لم يكن أفضل حالاً من سابقه ، يقول فيه ابن دانيال : [2]

قد كَمّلَ اللهُ برذوني بَمْنقصةٍ وشانَه بعدَ ما أعماهُ بالعَرَج
أسيرُ مثلَ أسيرٍ وَهَو يَعرُج بي كأنّه ماشياً ينحطُ منْ دَرَج
فإنْ رَماني على ما فيهِ من عرجٍ فما عليه إذا ما متُ من حَرَج

أعمى وأعرج برذون هذا الشاعر ، وليس على الأعمى حرج ، وليس على الأعرج حرج، وبالتالي ليس عليه حرج إذا قتل صاحبه ولكن ، ما الذي صَبّر الشاعر عليه ؟ إنه الفقر، ولكنَّ الشاعر لا يبالي من السخرية من فقره وجعل مركوبه مادةً لهذه السّخرية ، وهذا ما نراه في قوله ساخراً من برذونه مرة أخرى ، حين يقول : [3]

برذونُ سوء والنّاس تَعْرِفُه ذا عَرَجٍ بل أصمٌّ ذا خرس
يخاف من رؤية الذّباب فما يأكلُ قضماً إلاَّ مَعَ الغَلَس
إذا رآهُ كلب عَوى قرَماً وَثَباً عَلَيْه في زي مفترَس[4]
يحسَبُه جيفةً وَحَسْبي من ركوبه أنّني على نجس[1]

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 261.
(2) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 168.
(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 81.
(4) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ، قَرَم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حــاز جميــعَ الأمــراض قاطبــةً ولـم يفتْـهُ منْهـا سـوى الـضّرَس

برذون سوء ، أعرج وأصم وأخرس ، جبان خواف كالجيفة من شدة هزاله وضعفه ، نَجِسٌ ، حائز على جميع الأمراض ولم يفته منها سوى الضرس ، هذه صفات برذون الشاعر، أيُّ عاقلٍ يحتمل حيواناً مع كلّ هذه الصفات السيئة المقززة ، إنه إنسان فقير لا يملــك شــراء مركوب يفتخر به ، الأمر الذي دفعه إلى السخرية من مركوبه .

ويدلل لنا الشاعر مدى سوء حاله ، والبطء في تحسن أموره من خلال الــصور التــي رسمها للحيوانات التي اقتناها ، فأولاً ذاك الحمار الحــرون العنيــد ، ثــم البــرذون الهالــك المريض، وأخيراً استطاع أن يقتني فرساً ، ولكن ، هل هو أفضل حالاً من سابقيه ؟ يبــدو أن مادية الشاعر لم تمكنه من شراء فرس يُفتخر به فسخر منه حاله حــال الحمــار والبــرذون ، حيث يقول فيه : [2]

فــــرَسٌ تَـــــراهُ إذا سَـــــرى للـــضّعف يمـــشي القهقـــرى
يحكـــي ســـكابَ ســـوى المحـــا ســـــن لا يُبـــاعُ فيُـــشْتَرى[3]
وكأنّـــــه الفتّـــــالُ يَمـــــشي فـــي الطّريـــق إلـــى الـــورى

ولكن ما أحلى فرس ابن دانيال إذا ما قورنت بفرسِ الحلّي ، إنّه يَصِفُها بكل الــصفات السيئة ، ويسخر منها سخرية شديدة وكأنها عدوة له ، يقول فيها : [4]

وَلـي فَرَسٌ لَيسَت شَكوراً وَإنَّما بهـا تُـضرَبُ الأمثـالُ فـي العَـضِّ وَالـــــــــــــــــــــــــــــــرَفس
تُعَربدُ في وَقتِ الصَباح مِنَ الضِيا وَتَجفُـلُ فـي الآصـالِ مِـن شَـفَقِ الـــــــــــــــــــــــــــــــشَمس
فيـا لَيتَهـا عِنـدَ العَليـقِ جَفولَـةً كَما هِيَ مِنكارٌ مِنَ الحِسِّ وَالجِنس

---

(1) الجيفة : جثة الميت إذا أنتنت ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ، جَيَفَ.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 140.

(3) سكاب : اسم فرس عبيدة بن ربيعة وغيره ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، ، مادة سَكَب.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 527-528.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَلَو شَرِبَت بِالفَلسِ مِن كَفِّ حاتَمٍ لَأَصبَحَ نَدماناً عَلى تَلَفِ الفَلسِ
وَلَو بَرَزَت في جَحفَلٍ تَحتَ عَنتَرٍ لَجُدِّلَ وَانفَلَّت جُيوشُ بَني عَبسِ

ما أقسى هذه السخرية وأشدها خصوصاً في البيت الأخير الذي يجعل فيه الشاعر هلاك عنترة مؤكّداً إذا ركبها ، وهزيمة جيوشه حَتْمِيّةٌ إذا كانت هذه الفرس بين خيوله.

أما البهاء زهير فيجعل من فرسه مثالاً حيًّا للمساوئ والعيوب ويرى أن ركوبها مثل ركوب المعصية ، يقول : [1]

وَفَرَسٍ عَلَى المَسا وي كُلُّها مُحتَوِيَه
فَما مَساويها لِمَن عَدَّدَها مُنتَهِيَه
وَلَيسَ فيها خَصلَةٌ واحِدَةٌ مُستَوِيَه
يا قُبحَها مُقبِلَةً وَقُبحَها مُوَلِّيَه
مالِكُها مِن خَجَلَةٍ كَأَنَّهُ في مَخزِيَه
مُستَقبَحٌ رُكوبُها مِثلُ رُكوبِ المَعصِيَه

يضرب الشاعِر مَثَلاً على فقره وضيق حاله من خلال هذه الفرس ، فمن يقرأ الأبيات – يعي فوراً – أن مالك هذه الفرس في ضيق حالٍ شديد ، وإلا ما أبقى على هذه الفرس لحظةً واحدة .

ومن خلال ما سبق ، يمكننا أن نرى كيف استغل الشعراء المحسوسات من حولهم لبيان سوء أوضاعهم وضيق حالهم ، مستخدمين السخرية وسيلةً للكشفِ عن ذلك .

ويمكننا إدراك مدى براعة هؤلاء الشعراء الذين كانوا قادرين بفكاهتهم وسخريتهم على تمثيل شخصية ضعيفة ومضحكة في الحياة الواقعية ، جعلونا من خلالها – إذا جاز

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 395.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول- نضع يدنا على الجوانب الغريبة ونقاط الضعف الأكثر شذوذاً في هــذه الشخــصية [1] التي من خلالها بينوا وضع مجتمعهم وحالاتهم الاجتماعية .

(1) ينظر : إسكاربيت ، روبير ، **الفكاهة** ، 40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : السُّخرية من البخل :

للشعراء في هذا العصر هجاءٌ كثير في البخل وفي الممدوحين الذين لم يعطوهم على مدحهم ، فشعرهم قد أذلهم على أعتاب الأغنياء البخلاء ، فصاروا يتبرّمون ويشكون ضيقهم ، ويضجرون مما هُم فيه ، وبخاصةٍ البخل الذي كانَ ورآء إخفاقهم في كسب رزقهم من شعرهم، ووراء بقائهم في الفاقة ، ولذلك هاجموا البخل ، وسخروا من البخلاء ، حاثين الناس على العطاء[1] مثل قول الجزار : [2]

لقد رَضيَ الرّحمنُ عن كُلِّ مُنْفِقٍ فما بالُنا نلقى رضى اللهِ بالسَّخطِ
مَعيبٌ على الإنسانِ يعطيه ربَّه بغيرِ حسابٍ وهو يحسب ما يُعطي

يعيب الشاعر على النَّاس البخل ويذكرهم بأن الإحسان والعطاء والكرم أمورٌ رضي الله عن صاحبها . محاولاً إبعادهم عن طريق البخل و التقصير ، وإعادتهم إلى جادة الصواب حيث رضى الله .

ويتعجّب الجزّار في أبياتٍ أُخرى من مسألة البخل بقوله : [3]

إذا كانَ لي مالٌ عَلَام أصُونَه وما سَادَ في الدّنيا من البخلِ دينُه
ومن كانَ في الدّنيا ذا يسارٍ فإنَّه خليقٌ لعمري أن تَجودَ يَمينُه

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّنّاع وأرباب الحرف** ، 224.

(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 226/1.

(3) نفسه ، 229/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجزّار كباقي شعراء الحرف دعا إلى احتراف الصنائع مهما كانت شـاقة ، وعَـدّها خيراً من إذلال النفس في سؤال الأغنياء البخلاء ، ولو كان عائد هذه الـصنائع قلـيلاً بـرغم صعوبتها فهو في شعره يسخر من ممدوحيه ومن بخلهم [1] في مثل قوله : [2]

كيف لا أشكُر الجزراة ما عِشْـ ـتُ حفاظاً وأرفضُ الآدابا
وبها أضحت الكلاب تُرَجيـ ـني وبالشعر كُنت أرجو الكلابا

وفي المعنى نفسه يقول : [3]

لا تعبني بصنعة القصّابِ فهي أزكى من عَنْبر الآدابِ
كان فضلي على الكلاب فمذ مَدَ حتُ أديباً رجوت فضل الكلاب

إنَّه يهزأ من صنعة الشعر الكاسدة التي لا تستطيع توفير قوت يومه ، كما يهزأ من بُخل الممدوحين ويشبههم في الكلاب ، وفي مقابل ذلك يمدح مهنة القصابة ، وما زاد من السخرية هو استخدامه التورية في لفظتي الكلاب .

وفي أبياتٍ أُخرى له نراه يهجو بخيلاً ساخراً منه بقوله : [4]

لا يَسْتَطيعُ يرى رغيفـ ـاً عِنْدهُ في البيتِ يُكْسَر
فلَو أنّه صلّى وحا شَاهُ لقال : الخبز أكبر
ولَهُ محلٌ في البغاءِ به تَقَدّم من تأخَّر

هنا يسخر الشاعر من كل مهجوّه الذي لا يطيق رؤية رغيف خبز مكسور في بيته ، بل انه يعظم الرغيف حتى في صلاته ، ويقول في ذلك : [5]

طالَمَا كُنت قبلها تَحفظُ الْخُبْـ ـزَ ولكن بالبخل في الصندوق
ليتَ شعري ماذا تقولُ إذا ما رُمْتَ شتمي ، قُلْ لي : بأيّ طريق
عَلِمَ الله مَا مَضيتُ رَسُولاً قطُّ من عند ابنتي لِعَشيقي

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 183.
(2) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 316/1.
(3) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 249.
(4) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 318/1.
(5) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 291/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا ولاَ جئــت بالرّجــال إلــى بيــ ـتي وكاسـرت عَـنْهُمُ فـي الـسّوق

ففي البيت الأول فقط يسخر من بخل مهجوّه الذي يحفظ الخبز في الـصندوق ، وفـي الأبيات التي تليه يسخر من أخلاقه السّيئة وعاداته المتنافية مع الأخلاق والدين ، ويَرى محمود سالم محمد أن الجزار " أطلق لنفسه العنان فرمى صاحبه بالفاحشة والقيادة " [1] بعد أن رمـاه بالبخل في البيت الأول .

أما الوراق فنحا منحى سابقه ، حيث شكا في شعره ممدوحيه ، وسَاءَل نفسه القناعـة ما دام غيرَ قادرٍ على الوصول إلى مراده [2] ومن ذلك قوله : [3]

مَـــالي أذلُّ وللقناعـــةِ عِـــزَّةٌ أنجـو بهـا مـن ذِلَّـةٍ وهـوانِ
وأصـون وجهـي أن يُـذلَّ لأوجـهٍ منحوتـةٍ مـن عـالم الـصّوانِ
والقـــومُ كالأصـــنام والإســـلامُ نزّهنـي عـن الأصـنام والأوثـانِ

يحث الشاعر نفسه على صيانة ماء وجهه من أن يُذلّ لأوجـهٍ منحوتـة مـن عـالم الصوان، والإسلام نزّهه عن عبادة الأصنام والأوثان ، مشيراً بذلك إلى عدم التـذلل لهـؤلاء البخلاء وكأنه عبد لهم .

ولكنَّ الوراق يلقي اللوم على حظّه الضّعيف حين لا يستطيع لوم البخلاء على حرمانه فيقول : [4]

يَمْنَعُنـــي بَاخِـــلٌ وَسَـــمْحٌ وَلَـــيسَ لـــي مِنهُمـــا نَـــصِيرُ
وَعَـــايَتي أنْ أَلُـــومَ حَظّـــي وَحَظّـــيَ الحَـــائِطُ القَـــصِيرُ

ويقولُ في المعنى نفسه : [5]

---

(1) **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 123.
(2) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 155/2.
(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 234/1.
(4) العباسي ، إبراهيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، 154/1.
(5) العباسي ، إبراهيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، 155/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباءُ والخاءُ من بختي قدِ اقْتَرنا بالباءِ والخاءِ من بُخلٍ لإنسان
واللام والتّاء من هذا وذاك هُمَا لتُّ المسائل عن أسبابِ حِرماني

فهو يقرن بخته مع بخل الناس ، ويسخر من هذا الاقتران بينهما الذي كان من أسباب حرمانه .

ومن أجمل ما قاله الوراق في السّخرية من البخل ، شعره في شخص دعاه إلى طعام يحتوي على خضارٍ معروف باسم " رجلة " [1] حيث قال : [2]

وأحْمَقٍ أضافنا بِبَقْلَه لنسبةٍ بينهما و وَصْلَه
فمن أقلّ أدباً من سُقْلِه قد مَدَّ في وَجْه الضيوفِ رِجْلَه

التوريه واضحة في " رجله " ومغزاها بيان مدى بخل المُضيف وعدم احترامه لضيوفه ، وقد أسبغ الشاعر هذا الوصف في جوٍ من السخرية والمرح والإضحاك ، خصوصاً عندما بَنَى صِلَة ونَسَباً بين هذا الأحمق البخيل وطعامه المحتقر الذي لم يعجب الشاعِر .

أما البوصيري ، فقد أمعن في تصوير العاهات الأخلاقية التي كانت سائدة في عصره، لا سيما البخل الذي مورس عليه من الأصدقاء والأعداء على حَدّ سواء . [3]

ومن أطرف شعره سخريته من شيخٍ طغى عنده البخل على ما عداه من عيوب ورذائل ، حيث قال : [4]

إنْ جَهِلْتُمْ ما حَلَّ في ساحلِ الشيـ ـخ مِنَ الصّقع فاسْألوا البَحَّارَهْ
قالتِ البَقْلَةُ التي أوْقعَتْهُ أنا ما لي على الغُبون مَرَارَهْ

---

(1) الرّجله : ضرب من الحمض ، وقوم يسمون البقلة الحمقاء الرّجلة ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة رَجَل.
(2) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 246.
(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 188.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهُنا يبدأ الشاعر ببناء حوارٍ لطيفٍ طريفٍ حدث بينه وبين بغلة الشيخ التي شكت للشاعر تباريخ بخل صاحبها وسوء معاملته وبخله [1] وجَعَل لبنة هذا البناء خالصة من السخرية حيث يقول : [2]

قلتُ : ما تَكْرَهِينَ فيه؟ فقالت : أيُّ بُخْلٍ فيه وأيّ قَتَارَهْ
أنا في البيْتِ أشْتَهي كَفَّ تِبْنٍ وَمِنَ القُرْطِ أشْتَهي نُوَّارَهْ

أما الحلي ، فيهجو بخيلاً وصل به البخل حدوداً خياليةً ، وقد بلغ الشاعر في تصويرها مرتبة رفيعة ، حيث جاء بصورٍ فنّية متناهية الغرابة ولكنها متناهية البساطة والواقعية في آن واحد [3] يقول : [4]

لا يَعرفُ الحَمّامَ لَكِنَّهُ في البَيتِ يَحمي الماءَ في الشَمَس
إذا رَأى في قدرهِ لَحمَةً تَلا عَليها آيَةَ الكُرسي
يُجِلَّ أن تُدركَ رُغفانَهُ حَواسُ مَن يَأتيهِ بالخَمس
بالسَمع وَالأبصار وَالشَمِّ قد تُدرَكُ دونَ الذَوق وَاللَمس

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 189.
(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 99.
(3) ينظر : نفسه ، 189.
(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 625.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثلاث صورٍ أتى بها الشاعر للدلالة على مدى بخل مهجوّه ، ففي البيت الأول يصف لنا كيفية تسخين الرّجل للماء حيث يحميه في الشمس ، وفي البيت الثاني يظهر لنا مدى حِرص هذا البخيل وتقتيره حيث يتلو آية الكرسي على قطعة لحمٍ ليضمن حفظها ، وفي البيتين الأخيرين يؤكد لنا الشاعِر عدم إدراك حاستي الذوق واللمس لرغفان هذا البخيل، وفي تلك الصور مبلغ السخرية من هذا البخيل وبخله اللامتناهي .

من خلال تتبعنا شعره لوجدنا أن للبخلاء فيه نصيباً من الهجاء والسخرية في أكثر من موضع ، حيث قال في شحيحِ الزاد : [1]

وَبَخيلٍ يَنالُ مِن عَرضِهِ النا س وَلَكِن رَغيفُهُ لا يُنالُ
كُلَّ يَومٍ يَأتي بِحَرفِ رَغيفٍ كَهِلالٍ لَم يَدنُ مِنهُ كَمالُ

فهذا البخيل لا يكترث إذا ما نال الناس من عرضه شريطة عدمِ نوال رغيفه بل إنه يفضل أن يمسَّ الناس بعرضه على أن يمسّوا رغيفه ، ويسخر الحلي من بخله إذ لا يأتي بالرّغيف كاملاً وإنما بقطعةٍ صغيرة ، ليبين أن هذا البخيل بخيلٌ مقترٌ حتى على نفسه ، ثم يرسم الشاعر لنا صورة هذه القطعة من الخبز على سفرة هذا البخيل ، وهي صورة مضحكة، حيث يقول : [2]

مُستَقِرٌّ في وَسطِ سُفرَتِهِ الزَر قاءِ لا يَعتَريهِ مِنهُ زَوالُ
فَتَعَجَّبُ مِن سَماءٍ بِأَرضٍ كُلَّ يَومٍ يَلوحُ فيها هِلالُ

وله شعر طريف في رجلٍ بخيلٍ يُدعى ابن سنان ، وفيه يُجَسّد رغيف الخبز ويحاوره ليبينْ لنا من خلال هذا الحوار الخيالي مدى بخل مهجوّه ، وذلك في قوله : [3]

لَو تَراني مِن فَوقِ طودٍ مِنَ الجو عِ أُناجي رَغيفَ نَجلِ سِنانِ

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 535.
(2) نفسه ، 536.
(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، ، 536.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كُلَّمــا قُمــتُ قــائِلاً : أرنــي وَجــ ـــهَكَ نــادى وَعِزَّتــي لَــن تَرانــي

أما ابن دانيال فَسَخِر من شخص يُدعى علي شير [1] مبيناً مدى بخله بقوله : [2]

إذا مـــــا كُنْـــــتَ مَتْخومـــــاً فكُـــنْ ضَـــيْف عَلـــي شـــير
فمـــا يَخـــرُجُ منـــهُ الخُبْـــ ـــــــــزُ إلاّ بالمناشـــــــــير

فالشاعر يحذر من زيارة وضيافة هذا المدعو علي شير إلا إذا كان المضاف متخوماً، لإنه لا سبيل لأكل الطعام عنده . وقال يهجو : [3]

ألا بَلِّـغ المُـصْفَرَّ عَنِّـي وإنْ يَكُـنْ أخَسَّ الـورى قدْراً لَدَيَّ وأحقـرا
تباخَلْتَ حتّى صِرْتَ أصفرَ مُنْتَناً فكنـــتَ جـــديراً أنْ تُلَقّـــبَ ...[4]

يرى ابن دانيال أن تباخل هذا الرّجل أدى إلى اصفراره ونتنه حتى صـــار جـــديراً أن يلقب الألقاب القبيحة المقززة .

أما ابن الوردي فكان يكره البخلاء كثيراً ويمقتهم كما هو بادٍ في شعره ، لذلك صَـبَّ عليهم جامَ غَضبه فهجاهم وسخر منهم ومن هذه الصفة القبيحة ، ومن ذلك سخريته من بخيـل يقطّع بالجوع أكباد ضيوفه ، إذ يحلّهم على سطح داره ويفرّجهم نجوم الـسَّماء ، يقـول فـي ذلك:[5]

أحـلَّ الـضيوفَ علـى سـطحه وفـرَّجهم فـي نجـومِ الـسما
وقطَّـــعَ بـــالجوع أكبـــادَهم "وإنْ يـستغيثوا يغـاثوا بمـا"[6]

وقال في بخلِ أهل العراق : [1]

---

(1) يبدو أن علي شير هو لقب لأحد أصحاب الشاعر ، ينظر حاشية **المختار من شعر ابن دانيال** للصفدي ، 134.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 134.

(3) نفسه ، 246.

(4) لم يرد ذكر الكلمة في **المختار من شعر ابن دانيال** ، وتقديرها " الخرا " وبها يستوي المعنى والوزن .

(5) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 284.

(6) اقتباس من الآية الكريمة : (bÎ*sù (#qè=ÏHxå ×ûüÎ7•Bur) ، الكهف ، آية 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفـــي بغـــدادَ أقـــوامٌ كـــرامٌ ولكـــنْ بالـــسلام بـــلا طعـــامِ
فمـا زادوا الـصديقَ علـى سـلامٍ لهـــذا سُـــمِّيَتْ دارَ الـــسلامِ

وظف التراث والاسم لقضية مهمة في السخرية .

ولكنه في النهاية يحذر من البخل والحرص على المال بتشبيه المال بالحية التي إن لـــم تقتلها قتلتك في قوله : [2]

أيهـــا الباخـــلُ فيمـــا قـــد مَلَـــكْ أنـــتَ للمـــالِ ولـــيسَ المـــالُ لـــكْ
فـــاحترسْ مـــن حيَّـــةِ المـــالِ بـــدَّ أنْ تقتلَهـــا أو تقتُلـــكْ
فـــــــــــــــــــــــــــــلا

وبهذه الأبيات المليئة بالحكمة أختم حديثي عن السخرية من البخل .

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 253.

(2) نفسه ، 204.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : السُّخرية من الحمق والثّقل :

الحمق والثقل صفتان مذمومتان ، لا يرغب المرء بأن تُنسبان إليه ولا يحب الاختلاط بأصحابها ، فالأولى تعني قِلّة العقل [1] وقليل العقل صعبٌ التفاهم معه ، حذارِ من الاختلاط به ، يقول البوصيري في هذا المعنى : [2]

ولا تَثِقْ بوَفاءٍ مِنْ أخِي حُمُقٍ فالحُمْقُ دَاءٌ عَياءٌ بُرْؤُه عَسِرُ

ويوافقه الرأي في عدم مصاحبة الحمقى صفي الدين الحلّي ، الذي يَرى أنّ مصاحبة اللبيب للأحمق قد تصيبه بالعدوى ، وقد تضر مصاحبة اللبيب للأحمق به ، ذلك لأن بينهما اختلافاً كبيراً ، فالجهل يتنافى والعقل ، يقول : [3]

إذا بُلِي اللّبيبُ بقُربِ فدمٍ تَجَرَّعَ مِنهُ كاساتِ الحُتوفِ[4]
فَذو الطبعِ الكَثيفِ بغَيرِ قصدٍ يُضِرُّ بِصاحِبِ الطبعِ اللّطيفِ
وَذاكَ لِأنَّ بَينَهُما اِختِلافاً يُنافي العَقلَ بالجَهلِ العَنيفِ

أما إذا أردنا تتبع السّخرية من الحمق عند الشعراء فإن البهاء زهير صاحب الهجاء الرقيق والاتجاه التهكمي خير من يمثلها ، حيث إن الحمق كان من أكثر الصفات التي تثيره وتدفعه إلى الهجاء والسخرية [5] يقول في شخصٍ ضعيفٍ : [6]

ما العَقلُ إلّا زينَةٌ سُبحانَ مَن أخلاكَ مِنهُ
قَسَّمَت عَلى النّاسِ العُقو لُ وَكانَ أمراً غِبتَ عَنهُ

إن كان العقل غائباً عن المهجو ، لا يغيب علينا ما في هذه الأبيات من سخرية وتهكمٍ صاغها الشاعر بأسلوبه الفكه المضحك ، ويهجو شخصاً بُلي به بقوله : [1]

---

(1) ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة حَمُق.
(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 119.
(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 544.
(4) الفدم : هو الغليظ الأحمق ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة فَدَم.
(5) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 266.
(6) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 361.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَذو عَجَـــــــبٍ إذا حَدَثّـــــــــ ـــتَ عَنـــهُ جِئـــتَ بالعَجَـــبِ
وَمـــا يَـــدري -بحَمـــدِ الـــــ ـــلَهِ- مـــا شَـــعبانَ مِـــن رَجَـــبِ
وَمـــا أبـــصَرتُ أحمَـــقَ مِنـــ ـــهُ فـــي عُجـــمٍ وَلا عَـــرَبِ
وَأحمَـــقَ قـــد شَـــقيتُ بـــهِ بـــــــلا عَقـــــــلٍ وَلا أدَبِ
فَـــــلا يَنفَـــــكُّ يَتبَعُنـــــي وَإن أمعَنـــتُ فـــي الهَـــرَبِ
كَـــأنّي قـــد قتَلـــتُ لَـــهُ قتـــيلاً فَهُـــوَ فـــي طَلَبـــي

يصف الشاعر لنا هذا الأحمق الذي لم يُبصر أحمق منه ، فهو لا يدري ، شعبان مـن رجب ، بُلي الشاعر به وعانى من قلّة عقله وقلّة أدبه ، وما يزعج الشاعرِ أن هـذا الأحمـق ثقيل أيضاً ، فهو يتبع الشاعر دائماً وإن أمعن في الهرب ، ويأتينا بـصورة سـاخرة لطيفـة لموقف هروبه من هذا الثقيل إذ يصوّر نفسه قاتلاً وهذا الثقيل طالباً للثأر لقتيلـه الـذي قتلـه الشاعر ويتحدث عن ثقيلٍ آخر بقوله : [2]

وَثَقيـــــــــلٍ كَأَنَّمـــــــــا مَلَـــــكُ المَـــــوتِ قُربُـــــهُ
لَـــيسَ فـــي النـــاسِ كُلُّهُـــم مَـــــن تَـــــراهُ يُحِبُّـــــهُ
لَـــو ذُكِـــرتَ اِســـمَهُ عَلـــى مـــاءٍ مـــا ســـاغَ شُـــربُهُ

أيُّ مقتٍ للثقلاء يفوق هذا المقت ، وأي سخرية مهنم أشدُّ من هـذه ، يبلـغ الـشاعر الدرجة القصوى في المغالاة والمبالغة حين يرى ملك الموت قرب هذا الثقيل للدلالة على كره الناس له ، ويبلغ مداه حتى يجعل الماء غير مستساغٍ شربه لو ذكر اسم هذا الثقيل عليه.

والبهاء كباقي الناس " فنحن نكره الثقلاء ، ولا نُحبّ رؤيتهم ، ولا نرضى أن نكـون منهم ، فيا ويل من كان ثقيلاً على الناس ! في كلامه .. في زيارتـه .. فـي أفعالـه ! إنهـم

---

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 44.

(2) نفسه ، 22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكرهونه ... يتمنون انصرافه ... يتملكهم الضيق عندما يرونه " [1] وما كان البهاء زهير في هذه الأبيات إلا لسان حالٍ للناس كلهم.

ويصفه لنا في موضع آخر بقوله : [2]

رُبَّ ثقيلٍ لِبُغضِ طلْعتِه أخشاهُ حَتّى كَأنَّهُ أجَلي
وَكُلَّما قُلتُ : لا أشاهِدُهُ ألقاهُ حَتّى كَأنَّهُ عَمَلي

وبناءً على كره الشاعر لذاك الثقيل ، يُخلق صراع في داخله ، وتتولّد تساؤلات عن كيفية الخلاص منه ، يسوقها الشاعِر في إطارٍ ساخِر طريف في قوله : [3]

كَيفَ لي مِنكَ خَلاصٌ أينَ لي مِنكَ سَبيلُ
حارَ أمري فيكَ حَتّى لَستُ أدري ما أقولُ
أنتَ وَاللَهِ ثَقيلٌ أنتَ وَاللَهِ ثَقيلُ

وهذه التساؤلات نابعة من نفسٍ تكره الثقل والثقلاء ، وأخيراً يصرح الشاعِر لهذا الثقيل بعدما أعياه التلميح ، يقول : [4]

بِحَقِّ اللَهِ مَتِّعني مِن وَجهِكَ بالبُعدِ
فَما أشوَقني مِنكَ إلى الهِجرانِ وَالصَدِّ
فَما تَصلُحُ لِلهَزلِ وَلا تَصلُحُ لِلجَدِّ
وَماذا فيكَ مِن ثِقلٍ وَماذا فيكَ مِن بَردِ
فَلا صُبِّحتَ بِالخَيرِ وَلا مُسّيتَ بِالسَعدِ

أما ابن الوردي فيحذّر من مصاحبة الثقلاء الغِلاظ بقوله : [5]

فلانُ فظٌّ غليظٌ إليكَ عنهُ إليكا
لئنْ قضيتَ عليهِ ليقضيَنَّ عليكا

---

(1) سليم ، محمد ابراهيم ، **البهاء زهير ، شاعر مصر في العصر الأيوبي** ، 46.

(2) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 256.

(3) نفسه ، 274.

(4) نفسه ، 89.

(5) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 277-278.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعلّ أجمل ما قيلَ في السّخرية من الثقلاء ، ما قاله صفي الدين الحلي في هجاءِ ثقيلٍ جهم الوجه حيث يقول : [1]

وافى وَقد شَفَعَ التَقطُّبُ وَجهَهُ ... وَطحا بها مَرَحُ التَكَبُّر فَانثَنى
يَبدو فَتَقذِفُهُ النُفوسُ لِثِقلِهِ ... فَتَراهُ أبعَدَ ما يَكونُ إذا دَنا
فَطفِقتُ أنشِدُ إذ بَصُرتُ بِحُمقِهِ ... بَيتاً جَعَلتُ الشَطرَ مِنهُ مُضَمَّنا
يا ثِقلَ صورَتِهِ وَخِفَّةَ رَأسِهِ ... هَلّا نَقَلتِ إلى هُنا مِن هاهُنا

تكمن السخرية من هذا الثقيل في عمليةٍ حيويةٍ أتى بها الشاعر تتمثل في قذف النفوس له لشدة ثقله ، وما أحلى الصورة ذات الأبعاد التي تصوره أبعد ما يكون إذا دنا .

ومن الجدير ذكره أن الشاعر رَبط بين الثقل والحمق في أبياته وتمنى لو تعكس الصورة لدى الثقيل الأحمق ، فتغدو صورته خفيفة الظل وعقله ثقيل ... ولكن هيهات ، وهما صفتان كما قلنا سابقاً برؤهما صَعب وعَسير .

رابعاً : السُّخرية من الأنساب :

سلَّط بعض الشعراء سخريتهم لا على شكل المهجو ومظهره ، ولا على سخصيته ، بل جعلوا سهامَ سخريتهم تصب على ادّعاء بعضهم النسب الرّفيع ، وهم حِلٌّ منه .

وقد تكون السخرية بدافعٍ ديني أو سياسي ، ونجد ذلك عند البوصيري الذي هجا بعض الرّعاع الذين عاثوا فساداً في زمانهم ، واصفاً سوء أخلاقهم وخبثهم وعميم أذيتهم ، والأهم من ذلك كله أنه سخر من خِسّة أنسابهم [2] وكل تلك السخرية منهم كانت نابعة من غضبه عليهم لأنهم عصوا أوامر السلطان - فيما يبدو – وتمرّدوا عليه يقول فيهم : [3]

عَصَتْ عليه أناسٌ لا خَلاقَ لَهُمْ ... الشُّؤْمُ شِيمَتُهُمْ واللُّؤْمُ والدَّبَرُ

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 532.
(2) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 240.
(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 138-139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَلَثَّمُـوا ثـمَّ قـالوا إننـا عَـرَبٌ فقلـتُ لا عَـرَبٌ أنـتمْ وَلا حَـضَرُ
ولا عُهُـودَ لكُـمْ تُرْعَـى ولا ذِمَـمٌ ولا بُيُـوتُكُم شَـعْرٌ وَلا وَبَـرُ

فهو يرفض ادعاء هؤلاء المتمردين العصاة النسبة إلى العرب ، ويُكمل سخريته منهم بوصفهم بالأحجار والحفر في طريق الناس حيث يقول : (1)

يَشْكُو جميع بنِي الدُّنيا أذِيَّتَهُمْ فهمْ بطُرْقِهِمُ الأحجارُ والحُفَرُ
مِنْ لُؤْمِ أحْسَابِهِمْ إنْ شاتَمُوا وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إنْ قاتَلوا خَسِرُوا رَبحُوا

وفي البيت الثاني يسوق الشاعر لنا دليلاً على لؤم أحساب هؤلاء القوم وخسة أنسابهم، فهم في حرب السباب والشتيمة يربحون وفي حرب السيوف يخسرون وذلك دليلٌ على جبنهم وخستهم .

ويسخر صفي الدين الحلي من علويّ شرير ، يَدَّعي النسبة إلى الإمام علي y ، فيقول فيه : (2)

قالَ النَبيُّ مَقالَ صِدقٍ لَم يَزَل يَجري عَلى الأسماعِ وَالأفواهِ
مَن غابَ عَنكُمُ أصلُهُ ففِعالُه تُنبيكُمُ عَن أصلِهِ المُتَناهي
وَسَفَرتَ عَن أفعالِ سوءٍ أصبَحَت بَينَ الأنامِ قليلَةَ الأشباهِ
وَتَقولُ إنَّكَ مِن سُلالَةِ حَيدَرٍ أفأنتَ أصدَقُ أم رَسولُ اللَهِ

يفنّد الشاعر دعوى هذا الرجل النسبة إلى سلالة علي y ، ويجعل نفسه مُحامياً للدفاع عن شرف هذا النسب الذي لا يجوز لأيّ كان الانتساب له وهو حِلٌّ منه ، ويجعل دليله وبرهانه على كذب ادعاء هذا الرجل مقال صدقٍ للرسول r الذي يرى أن الأفعال تنبئ عن أصل الإنسان ونسبه ، وأفعال هذا المهجو ليس لها شبيه في قبحها وسوئها ، فكيف ينتمي وينتسب ذو الأفعال الشائنة إلى سلالة عريقة كسلالة عليٍ y !؟

(1) نفسه ، 139-140.
(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 526.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي موضع آخر يسخر الحلي من رجلٍ يُدعى عيسى ليس له نسبٌ بقوله : [1]

سُمّيتَ عيسى ولَم تَظفَر بمُعجِزَةٍ ... ولَم تُشابِهْهُ في عِلمٍ وَلا حَسَبِ
وَلا أتَيتَ بِشَيءٍ مِن فَضائِلِهِ ... إلّا بِأَنَّكَ مِن أُمٍّ بِغَيرِ أَبِ

لعنة هذا الملقوط أنه جاء إلى الدنيا بغير أب ، ولكن لعنةٌ أكبر أصابته حين سخر الشاعِر من عدم وجود نسبٍ ينتمي إليه مستخدماً اسمه وسيلةً للسّخرية ، فهو لم يظفر بمعجزة كمعجزة عيسى عليه السلام ، ولم يشابهه في العلم والحسب ، وليس فيه خصال كخصال سيدنا عيسى ، وليس يجمعه به سوى الاسم وكونه من أمٍ بغيرِ أب ... وحتى في هذه شتّان بينهما .

خامساً : السُّخرية من التناقض في حياة الشخص :

السخرية من التناقض في حياة الشخص تتمثل في السّخرية من الشخص نفسه ، إذا كان في شكله قيمة تغاير جوهره الحقيقي [2]. فيقول ابن الوردي في هذا المعنى : [3]

لئنْ طهَّرتَ ثوباً دونَ قلبٍ ... فطُهرُ الثوبِ دونَ القلبِ حَيْضُ

ومن الشعراء الذين سخروا من التناقض في حياة الشخص ، البهاء زهير ، الذي وصف طائفة من الناس بقوله : [4]

كَم أناسٍ أظهَروا الزُهدَ لَنا ... فتَجافوا عَن حَلالٍ وَحَرام
قلّلوا الأكلَ وَأبدَوا وَرَعاً ... وَاجتِهاداً في صِيامٍ وَقِيام
ثُمَّ لَمّا أمكَنَتهُم فُرصَةٌ ... أكَلوا أكلَ الحَزانى في الظَلام

يتحدث الشاعر عن أناس أخفوا ما في صدورهم ولبسوا ثوب النفاق ، فأظهروا الزهد والورع واجتَهدوا في أقوالهم وأفعالهم ، ولكنّ ذلك لم يكن من أخلاقهم في شيء ، ودليله أنهم لمّا أمكنتهم فرصة أكلوا في الظلام ليخفوا حقيقتهم عن الناس .

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 530.
(2) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 106.
(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 251.
(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 238.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى ما يبدو فأن إظهار الورع وادّعاء التقوى كان يومئذٍ من الوسائل التي يتخـــذها الناس للوصول إلى آمالهم في الحياة الدنيا [1] متناسين الحياة الآخرة .

ولكن هذه الخدعة لم تنطل على الشاب الظريف الذي كشف زيف بعضهم وادعـــاءَهم حيث يقول فيهم : [2]

وصـالحين رأيـت الخمـر عنـدهم قـد حلّلـوه بـلا خـوف ولا حَـذَر

فهو يتحدث عَمّن ينسبون أنفسهم إلى الصلاح ويدَّعون التقوى ، ولكنهم يحللون الخمر بلا خوفٍ ولا حذر وهذا يتنافى مع ما سبق .

أما ابن دانيال فيمحور السخرية حول نفسه ، إذ يجعل من شخصيته نموذجاً لمن يدّعي التدين ، ويخفي حقيقته خلف ستار التقوى ، فيكون ظاهرهم متنافياً مع جوهرهم ، يقول : [3]

وَلَمـا صِرتُ بـينَ النـاسِ ألحـى تَعَلَّمـــتُ الفُجـــورَ مَـــعَ المحـــالِ
أدورُ علـــى بيـــوت القَحْـــبِ لَـــيْلاً وأنْهَـــقُ كـــالحمير وكالبغـــالِ

فمن المعروف أن اللحية دليل على الورع والتقوى إن أَطلقها المرء . ولكنها هُنا ستارٌ اتخذه الشاعِر لإخفاء أفعاله المشينة القذرة التي يمارسها ليلاً .

ويهجو الخياط الدمشقي شخصاً يدَّعي الحسن ساخراً من كذب ادعائه مبّيناً التنـــاقض في شخصيته ، حيث يقول : [4]

كم تظهر الحسن البديع وتَدّعي وبياضُ وجهك في النواظِرِ مُظْلِمُ

---

(1) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 283.
(2) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 166.
(3) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 193.
(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 302/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحدثنا ابن دقيق العيد عن رجل يظنّه الناس عالماً فاضلاً ، فأكرموه بما يرتــضي ، فيسخر الشاعر من ذلك مبيناً كذب ادعائه ويسخر من تعارض المانع والمقتضي بقوله : [1]

قــالوا فــلانٌ عــالمٌ فاضــلٌ فــأكرمُوهُ مثلمــا يَرْتــضي
فقلــتَ لمــا لــمْ يكــنْ ذا تقــىً تَعَــارَضَ المــانعُ و المقتــضي

سادساً : السُّخرية من إخلاف الوعد :

إخلاف الوعد خلق سيء عدّه الإسلام علامة من علامات النفاق ، لذلك لــم يتهــاون الشعراء مع أصحاب هذه الخلق ، بل انبروا في تتبع أصحابه وكشف مواقفهم .[2]

وما أصعبَ إخلاف الوعد ، وتخيبِ الظّن حين يكون من الأصدقاء ، الــذين تُرتجــى منهم النّصرة ، وهذا ما حَدَث مع صفي الدين الحلي الذي وعده صديق بنصرته في واقعة لــه وأخلف ، يقول : [3]

وَعَــدتَ جَمــيلاً وَأخلَفتَــهُ وَذَلِــكَ بــالحُرِّ لا يَجْمُــلُ
وَقُلــتَ بأَنَّــكَ لــي ناصِــرٌ إذا قابَــلَ الجَحفَــلَ الجَحفَــلُ
وَكَــم قــد نَــصَرتُكَ فــي مَعــرَكٍ تَحَطَّــمُ فيــهِ القنــا الــذُبَّلُ[4]

فالشاعر يُنكر على صديقه عدم الوفاء بالوعد ، وهو الذي نصره فــي معركــة لــه ، ويخبره أن صفة إخلاف الوعد غير مُستَحبّةٍ في الرجل الحر .

ثم يقول له بأن قدر الرّجال يُعْرَف من خلال صفاتهم ، فلا يتساوى الــذي يقــول ولا يفعل مع الذي يفعل ما يقول ، ويضرب له مثلاً قِصّةً غاية في الجمال عن حوارٍ جــرى بــين

---

(1) الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 13/8. والصفدي، **الوافي بالوفيات**، 199/4.
(2) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 107.
(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 40.
(4) القنا الذابل : الرمح الدقيق اللاصق ، والجمع ذُبَّل ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ذَبل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بلبلٍ وصقرٍ، يُنطق فيها كلّ منهما ، ويسوق على لسان الصقر الحكمة مبطنةً بالسخرية ممن يقولون مالا يفعلون ، ويعدون ويخلفون وعودهم ، يقول : [1]

بـذا يَتَفـاوَتُ قـدرُ الرجـا … لِ فـتَعلَمُ أيُّهُـمُ الأكمَـلُ
كَمـا قالَـهُ الـصقرُ فـي عِـزَّةٍ … بـهِ حـينَ فـاخَرَهُ البُلبُـلُ
وَقـال : أراكَ جَلـيسَ المُلـوكِ … وَمِـن فـوق أيـديهِمُ تُحمَـلُ
وَأنـتَ كَمـا عَلِمـوا أخـرَسٌ … وَعَـن بَعـضِ مـا قُلتُـهُ تَنكُـلُ[2]
وَأحـبَسُ مَـع أنَّنـي نـاطِقٌ … وَقَـدري عِنـدَهُمُ مُهمَـلُ
فقـالَ صَـدَقتَ وَلَكِـنَّهُم … بِـذاكَ دَروا أنَّنـي الأفـضَلُ
لأنّـي فَعَلـتُ وَمـا قُلـتُ قـطُّ … وَأنـتَ تَقـولُ وَلا تَفعَـلُ

وقال كذلك في هجاءِ شخص ماطل الوعد ساخراً منه : [3]

لَمّـا تَطـاوَلَ بـي إفـراطُ مَطلِكَ لـي … وَضـاعَ وَقتـي بَـينَ العُـذرِ وَالعَذَلِ
أيقَنـتُ أنـك لَـستَ إنـساناً لِفِعلِـكَ … لِقَولِـهِ خُلِـقَ الإنـسانُ مِـن عَجَلِ[4]

ينفي الشاعر صفة الإنسانية والانتماء للبشر عن ماطِل الوعد ، مستعيناً بالآي القرآني لبرهنة كلامه وهذا مبلغ السخرية من ماطل الوعد ومخلفه بأنه لا يُعَدّ إنساناً .

أما ابن الظهير الإربلي ، فأتى على الحديث عن إخلاف الوعد من خلال حديثه عن صديقين له أخلافاه الوعد وكذبا عليه ، فسخر منهما ومن مواعيدهما بقوله : [5]

مواعـد الفخـر والـشهاب … أكـذب مـن لامـع الـسراب
أحـسنت بالـسيدين ظنـاً … فكـان نقبـاً علـى خـراب
كـم أحلفـاني فخلفـاني … إذ كنـت غـرّاً علـى التّـراب

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 41.

(2) نكل ينكل عما قاله نكص وجَبُن ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة نَكَل .

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 529.

(4) تشير إلى الآية الكريمة : " [illegible] " ، الإسراء ، آية 11.

(5) الإربلي ، ابن الظهير ، **ديوانه** ، 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتحسر الشاعر على إحسانه الظن بهذين السيدين لأن مواعيدهما أكــذب مــن لامــع السراب ، ولذلك ينفي الشاعِر عنهما صفة الأصحاب ويتحرر من هذه الصداقة ، بقوله : [1]

راغــا وزاغــا ولــيس هــذا الــ ــخداعُ مــن شــيمةِ الأصــحابِ[2]

(1) نفسه ، 29.

(2) راغ خادَع ، وراوغه خادعه ، وزاغَ عن الطريق عَدَل عنه ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة رَوَغ ، ومادة زَوَغ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعاً : السُّخرية من مفاسد إجتماعية وأخلاقية أخرى :

تحدَّث الشعراء في هذا العصر عن المفاسد الاجتماعية والأخلاقية وشيوع الفساد ، وتدني الأخلاق ، بأسلوبٍ فيه كثير من التّقية وشيء من السّخرية المبطنة ، ممزوجةٌ أحياناً بالمرارة والألم الواضحين . [1]

ومن المفساد الأخلاقية التي شاعت في العصر ، الشذوذ ، فقد اتّخذ الشعراء منه مادة للسخرية والتهكم [2] ومن ذلك سخرية الوّراق من رجلٍ فتنه حبّ العبيد إذ يقول : [3]

ماكنتُ أعرفُ في فلانٍ حالةً ... تدعو لحبِّ الأسود الغربيب[4]
حتّى رأيتُ مَحَلَّ سَعْدٍ عِنْدَه ... فرأيتُ كلّ غريبةٍ وغريب
ورأيته فرحاً به في غايةٍ ... ومُقطّباً لي غايةَ التَّقطيب

يفضح الشاعر أمر هذا الشاذ المفتون بحب العبيد بلغةٍ ساخرةٍ تهكمية ، سرعان ما يصيب الشاعر بها نفسه ، ساخراً من كونه برغم بياض لونه في خليع مشيب ، مبرراً لذاك الرّجل حبّه للعبد الأسود إذ لا يزال صغيراً يافعاً ، يقول : [5]

أوليسَ سعد أسودا غضّ الصِّبا ... أولَسْتُ أبيض في خليع مَشِيب

ويتحدث ابن نباته المصري عن هذه المفسدة الأخلاقية المتمثّلة باللواط والشذوذ ، مضمّناً من بيت جرير [1] الذي يُعدُّ أمدح بيتٍ ليبدّدَ عنه هذه الهالة ، من خلال إعادة بعثه في إطارٍ من السخرية وجوّ من التهكم قتلَ فيه روح المديح .

وذلك بقوله : [2]

---

(1) ينظر : أمين ، بكري الشيخ ، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني** ، 146.
(2) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 240.
(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 143/3.
(4) الغربيب : شديد السواد ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة غَربَ .
(5) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 143/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقــولُ لمعــشرٍ جُلِــدوا وَلاطُــوا وبــاثُوا عــاكفينَ علــى المــلاحِ
لأنــتم خيــرَ مــن رَكِــبَ المَطايَــا وأنــدىَ العَــالَمينَ بُطــونَ راحِ

فهو يتهكّم منهم مستخدماً (المدح في معرض الاستهزاء) [3] حيث يسخر من هــؤلاء القوم الذين عكفوا على الملاح ، ولاطوا رغم أنهم جُلدوا ، وأصروا على معصيتهم ، فــوارى بقوله "خير من ركب المطايا " لأنّهم أصروا على ركوب المعصية .

كما تحدّث الشعراء عن تعاطي الحشيشة ، ووصفوها ساخرين ممن يتعاطاها لأنــه لا يُصيبه منها إلا المرض والإعياء ، يقول الشاب الظريف في ذلك . [4]

مَـا لِلْحَشِيـشَةِ فَـضْلٌ عِنْـدَ آكِلِهَـا لَكِنَّـهُ غَيْـرُ مَـصْرُوفٍ إِلـى رُشْـدِهْ
صَـفْرَاءُ فـي وَجْهِـهِ خَـضْرَاءُ فـي فَمِـهِ حَمْرَاءُ في عَيْنِهِ سَوْدَاءُ في كَبِدِهْ

وفي مَوضع آخر يسخر ممن يشربها وحاله بعد شربها ، إذ يصبح كالفرخ الملقى على الأرض منتوف الرّيش مقتولاً من السّكر ، يقول : [5]

هَــذَا الفَقِيــرُ الَّــذي تَــراهُ كَــالفَرْخِ مُلْقــىً بغَيْــرِ ريــشِ
قــدْ قتلَتْــهُ الحَــشِيشُ سُــكْراً وَالقَتْــلُ مِــنْ عَــادةِ الحَــشِيشِ

ويذكر ابن دانيال الاصفرار والانسطال اللذين ينتجان عن تعاطي الحشيش ، ولكن في معرض حديثه عن محبوبه الذي أدمنها ، مبرراً له تعاطيه الحشيش على اعتبار أنه غــزال ، يقول:[6]

حبّــيَ مــا عابَــهُ أصــفرارُ كــلاَّ ولا شــانَهُ انــسطال
ومــا أرتعــى الحــشيش إلاَّ لتَعلمــوا أنّــه غــزالُ

---

(1) جرير ، **ديوانه** ، 85. **أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَندى العالَمينَ بُطونَ راحِ**
(2) ابن نباته ، **ديوانه** ، 120.
(3) ابن أبي الإصبع ، **تحرير التحبير** ، 568.
(4) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 144-145.
(5) نفسه ، 190.
(6) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 228-229.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدو أن هذا الداء قد انتشر في مجتمعات النساء ، ولعل ابن الـوردي يثبـت ذلـك بقوله:[1]

مليحـــــــــة مـــــــــسطولةٌ إنْ لمتُهـــا فيمـــا جـــرى
تقـــــول كـــــلُّ ظبيـــــةٍ ترعـــى الحـــشيشَ الأخـــضرا

يتفق ابن الوردي مع ابن دانيال من حيث اعتبار من يتعـاطى الحـشيش كـالغزلان والظباء، إذا كان الحديث عن الأحبة والمِلاح ولكنه لم ينف عن هذه المليحة التي يتحدث عنها انسطالها وغياب ذهنها ساخراً من حالتها .

وقد سخر بعض الشعراء من السّرقة ، يقول شمس الدين بن الصَّائغ : [2]

مـــن يَكُـــن فـــي الأصـــلِ لِـــصّاً لـــمْ يكُـــن قـــطّ أمينـــا
فثقـــــوا منـــــه بـــــرَهنٍ أو خـــــذوا منـــــه يَمينـــــا

أي اقطعوا يده اليمين.

أما الحلّي فيصفُ سارقاً بارعاً ، ولكنه يقلُّ براعةً عن الشاعر الذي استطاع النفاذَ إلى مستودع السّر ، حيث تتكون الحقائق وتنسج الهيئات والعناصر [3] يقول : [4]

لَـــو عايَنَـــت مُقلَتُـــهُ دُخنَـــةً لَاِســـتَرَقَ اللُّـــبَّ مِـــنَ القِـــشر[5]

وَلَـــو فُلاهـــا بَعـــدَهُ ناقِـــدٌ لَـــم يَـــرَ فيهـــا أثَـــرَ الكَـــسر
يَكـــادُ أن يَـــسرقَ طيـــبَ مِـــن راقِـــدِ اللَيـــلِ وَلا يَـــدري الكَـــرى
هَكـــذا وَلَـــو شـــاءَ غَـــدا مُمكِنـــاً أن يَـــسرقَ الـــسُكرَ مِـــنَ الخَمـــر

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 413، 473.
(2) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 196/8.
(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 191.
(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 645.
(5) الدُّخن : هو حَبّ الجاوَرْس واحدته دُخنة ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة دَخَن .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويُعَلّق ياسين الأيوبي على هذه الأبيات بقوله : " لم يَعد الحديث عن سرقة الأشياء من حوائج وحُلى وممتلكات ، بل اتجه إلى أبعادٍ جديدة ، إلى سرقة المشاعِر والخـواطر ، وإلـى الطيب والنشوة ، وكلها من جليل اللطاف والمعنويات " . [1]

لا يسخر الحلي من السرقة فحسب ، بل يسخر من الكذب ، يقول في كذَّاب كان يظنّه صديقاً فخابَ ظنّه لأن الصديق صدوق ، يقول : [2]

لـي صَديقٌ لا يَعرفُ الصِدقَ في القَـ ... ـو لِ وَلَيسَ الصَديقُ إلّا الصَدوقُ
لَيسَ فيهِ تَصَوُّرٌ يُدركُ العِلـ ... ـمَ وَلا لي إن قُلتُهُ تَصديقُ

وقال أيضاً : [3]

تُلَفِّقُ كِذباً ثُمَّ تَأتي بِضِدِّهِ ... إذا سَألوا تَكريرَ ما كُنتَ حاكِيا
فَإن كُنتَ قَوّالاً فَإنَّكَ كاذِبٌ ... وَإن كُنتَ كَذّاباً فَلا تَكُ ناسِيا

فهو يسخر من هذا الكذاب الذي يلفق الأكاذيب ، وحين يُسأل تكرير ما قاله يكذب مرّة أخرى لأنه نسي كذبته الأولى ، وينصحه ساخراً بأن يبقى على ذاكرتـه وأن يحـاول عـدم النسيان لأن اجتماع الكذب والنسيان يثبت أنه كذاب .

ويسخر الوراق من الكذب ، فيقول في مُتمارضٍ كذاب [4]

متمـارِضٌ جَعَـل التَّغـا ... شـي مـن خَبَاثتِـه سَـبَبْ
ويقـول : مـا أنـا طيّـب ... صَـدَق اللعـين ومـا كَـذَب

---

(1) صفي الدين الحلي ، 199.
(2) الحلي ، صفي الدين ، ديوانه ، 645.
(3) نفسه ، 529.
(4) الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 264/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستنبط الوراق دليله من الكذاب نفسه الذي يَدّعي المرض ويقول بأنه غيــر طيــب ، فيحوّر في المعنى ويواري ليجعل قصده الخبث وعدم الطيبة ، ويبرهن أنه كذب فــي ادعــاء المرض ولكنه صدق وما كذب في قوله : ما أنا طيب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

السُّخرية من فئات اجتماعية مختلفة في الشعر

أولاً : السُّخرية من المرأة .

ثانياً : السُّخرية من المغنيين والمغنيات .

ثالثاً : السُّخرية من الخدم والجواري .

رابعاً : السُّخرية من الأدب والأدباء .

خامساً : السُّخرية من أهل العلم والفضائل .

سادساً : السُّخرية من الحرف والحرفيين .

سابعاً : السُّخرية من مواقف مختلفة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث : السُّخرية من فئات اجتماعية مختلفة في الشعر

أولاً : السُّخرية من المرأة :

يقول فوزي محمد أمين : " الواقع أننا لا نرى في الأدبِ من حياة المرأة المنزليــة إلا الجانب السّيء ، وكأن السّخط وحده هو الذي يحرك قرائح الشعراء " . (1)

وقد صَوّر الشعراء النساء صوراً ساخرةً ، ولا ريب أنهم استمدوا هذه الــصورة مــن واقع مجتمعهم ثم أضافوا عليها من روحهم الفكهة ، وحسّهم الشعبي ، مما جَعَــل لهــا هــذه الحيوية وهذا النبض الذي جعلها تشع بالحياة وجعلنا نشعر كأنها تعيش بيننا . (2)

وهذه النظرة السّاخرة نجدها في شعر الجّزار الذي سَخِر من زوجة أبيه ، وصــوّرها أقبح تصوير واصفاً هرمها مُبيّناً ضعف عقلها وقبح وجهها بقوله : (3)

تَــزَوّجَ الــشّيخُ أبــي شَــيْخةً ... لــيسَ لهــا عَقْــلٌ ولا ذِهْــنُ
لــو بــرزت صــورتها فــي الــدّجى ... مــا جَــسَرت تبــصرها الجــنُّ
كأنهــا فــي فرشــها رمّــةٌ ... وشــعرها مــن حولهــا قُطْــنُ(4)
وقائــل قــال : فمــا سِــنّها ... فقلــتُ : مــا فــي فمهــا سِــنُّ

لقد جَعَل الجزّار من هذه المرأة الهيئة المثالية للقبح والشيخوخة ، ونَسَج منها خيــوطَ مَشْهدٍ مسرحي ساخر ، معتمداً على التفاوت الخيالي والتصوير اللطيف اللامأســاوي ، فكــان هذا الشعر الهجائي العابث . (5)

---

(1) **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 199.

(2) ينظر : نفسه ، 302.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.و ابن كثير، **البداية والنهاية** ،293/13.واليونيني، **ذيل مرآة الزمان** ، 64/4.

(4) الرّمة : قطعة من الحبل بالية ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة رَمَم .

(5) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 185.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي أبياتٍ أُخرى له يتهم زوجة أبيه بقتل أبيه ، والعجيب أن يوصي لها والده بالصداق وهي قاتلته ، يقول : [1]

أذابَتْ كِلى الشيخ تلك العجوز ... وأرْدته أنفاسها المُرْدِيَهْ
وقد كان أوصى لها بالصّداق ... فما في مصيبته تَعْزِيَهْ
لأنّي ما خِلْتُ أن القتيلَ ... يوصي لقاتِله بالدّيَهْ

تكمن السّخرية لا في اتهام الجزار لزوجة أبيه بقتله ، بل بطريقة القتل ، حيث كان سلاحها في هذه الجريمة أنفاسها المميتة ذات الرائحة النتنة الكريهة ، ويرى الشاعر أن مصيبة والده ليس لها عزاء ، لأنه أوصى لقاتلته بالصداق متهكّما من غرابة كون القاتل موصى له بالدية وليسَ مطالباً بها .

ويرى ياسين الأيوبي أن الجزار قد عَدَل هُنا عن الدعابة الخالصة والفكاهة الفنية الراقية ، إلى نوعٍ جَمَع ذلك إلى حقدٍ دفين ، واحتقارٍ لسخف الأقدار التي تجعلُ من المرذول المُعْتَل يفوز بالحياة والبقاء . [2]

أما البوصيري ، فيشكو من زوجته ساخراً منها ، راوياً قصَّته معها ، سارِداً لأحداثها بأسلوبٍ فكه مضحك ، ويبدأ هذه القصة بالحديث عن مُجريات الحوار الذي دار بين امرأته وأختها وكيف حَرّضتها الأخيرة على زوجها ، حيث يقول : [3]

وَيَوْمَ زارت أمُّهم أختَها ... والأُخْتُ في الغَيْرَةِ كالضَّرَّهْ
وَأقْبَلَتْ تَشْكُو لها حالَها ... وَصَبْرَها معي على العِشْرَهْ

(1) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.
(2) ينظر : **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 378.
(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 111-112.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالـتْ لهـا كيـفَ تكـونُ النِّـسا كـذا مَـعَ الأزواج يـا غِـرَّهْ[1]

وكأننا أمام مشهد مَسْرحي نابض بالحياة والواقعية ، يسوق فيه الشاعر بكـل براعـةٍ السخرية من زوجته على لسان أختها التي تقذفها بالشتائم وتنعتها بالغِرّة الغافلة ، ثم يكمل هذا الحوار بين الأختين بقوله :[2]

قُـومِي اطْلبـي حَقَّـكِ منـه بـلا تَخَلّـفٍ منـكِ ولا فِتْـرَهْ
قالـت لهـا : مـا عـادَتي هكـذا فـإنَّ زَوْجِـي عنـده ضَـجْرَهْ
أخـافُ إنْ كَلَّمْتُـهُ كِلمَـةً طَلَّقَنِـي قالـتْ لهـا بَعْـرَهْ[3]

تشتم الأخت أُختها لإنها خائفة من زوجها ، وتظلُّ تهوّن قدره في نفسها ، وتحرّضـها على المطالبة بحقها ، فتأتيه الزوجة ممتلئة بمشاعِر السّخط والغضب ، وتضربه على رأسـه يقول في ذلك : [4]

وَهَوَّنَـتْ قـدْري فـي نَفْـسِها فجـاءَتِ الزَّوْجَـةُ مُحْتَـرَّهْ[5]
فقـاتلتني ، فَهَـدّدتها فاسْـتَقْبَلَتْ رَأسِـي بـآجُرَه

نقلةٌ نوعية من السخرية من زوجته إلى السخرية من نفسه ، إذ يروي كيف ضـربته زوجته رغم تهديده لها ، غير آبه في إطلاق السخرية من نفسه وتـأليف النكـات المـضحكة والقصص الهزلية التي تدور حول علاقته الشخصية مع زوجته .

ويعرض البوصيري لهذه الزوجة صورة أُخرى ، ساخِراً مـن مظهرهـا وضـعفها وهرمها مُتَعجباً من قوة رحمها وصِباه يقول في ذلك : [6]

بَلَغَتْ مِنَ الْعُمر العِتِّي ونُكِّسَتْ فِي الخَلْق وَهْيَ صَبيَّةُ الأرحام

---

(1) يا غِرة : يا غافلة ، والغِرة البُله الذين لم يجربوا الأمور ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة غَرَر.
(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 112.
(3) البعرة : واحد البعر ، وهو رجيع الخف والظلف من الإبل والشاة والبقر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة بَعَر.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 112.
(5) مُحْتَرَّهْ : محرورة ، غضبى ، وهي من الحرّ بمعنى الوجع والغيظ ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة حَرَر.
(6) البوصيري ، **ديوانه** ، 243.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنْ زُرْتُها في العامِ يَوْماً أنْتَجَتْ وَأتَتْ لِسِتَّةِ أشْهُرُ بغُلامِ

وإن كان البوصيري قد ضاق بهذه الزوجة المشاكسة الولود ، فإن ابن دانيال هو الآخر قد ضاق بزوجته الذميمة النكدة ، يقول فيها : [1]

زوجهة في النّقار ديكٌ ولكنْ لها في النِّساء صورةَ قردِ

أيُّ زوجة هذه التي تكون في قوّة خصامها ونقارها كالدّيك وفي صورتها كالقرد ؟!

يبدو أن ابن دانيال كان ماقِتاً كارهاً لهذه الزوجة وإلا لما وصفها بهذه الأوصاف ولما سخر منها هذه السخرية القاسية الجارحة .

وهذه النظرة السّاخرة للمرأة نجدها في شعر القيراطي ، ولكن بشكلٍ مختلف عن سابقيه ، إذ يتهكّم بامرأةٍ تعملُ بالوعظ ، ويسخر منها ، وكأنّه لا يرى في مجالِ الوعظ مكاناً للنساء ، واقرأ له هذه الأبيات ولا يغرّنَك منها الإطار الغزلي الذي جعله القيراطي حجاباً على سخريته [2] ، يقول : [3]

وعالِمةٍ تُفتي بقتْلِ مُحِبِّها وتَجْهَرُ أنّي في هواها أعْذَبُ
وتعضبُ إن جاءَت عليّ ببصرها كما أنّها تجني عَلَيّ وأغْضَبُ
إذا وعَظت قامت مَلاحةُ وجهها على منبر الأعطاف تدعو وتَخْطُبُ

" وما أغربها من واعظةٍ تلك التي يقوم جمالها مقامَ عَملها ، ويقوم محبوبها مقام طالبي الإفادة " .[4]

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 237.

(2) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 298.

(3) القيراطي ، **ديوانه** ، 88.

(4) أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنّ سوء الظن بالنساء عند القيراطي يبلغ مداه في أبيات أخــرى ، بحيــث يــراهُن جميعاً ناكراتٍ للنعمة ناقماتٍ لا يُرضيهنَّ شيء ، فَهُنّ في حال الغضب والرّضى سواء ، فــي كِلتا الحالتين هُنَّ سخطٌ مسلطٌ على الرجال ، يقول : [1]

وعَيشك لا يُرضي النّساءُ مَعيشة ... ولـو أنّهـا مـن جَنَّـةِ الخُلـدِ تُجلَـبُ
تُشاهِدها فـي حالـةِ الغيظِ مهلكـاً ... وحال الرّضى لم يَكْفِها منك مطلبُ

أما الوراق فيصوّر لنا كره بعض الناس للبنات ، ويجعل من نفسه مثالاً لذلك ، يقــول بأسلوبه الساخر الفكه : [2]

رُزِقــتُ بِنْتــاً لَيتَهــا لَــمْ تَكُــنْ ... فــي لَيلَــةٍ كالــدَّهْرِ قــضّيتُها
فَقِيـلَ مـا سَـميَّتَها ؟ قلـتُ : لَـوْ ... مكنــتُ مِنهــا كُنْــتُ سَــمّيتُها

يتلاعب الشاعر بكلمة سميتها يريد سَمَمْتها ، مُعلناً استياءه وموقفه من انجــابِ هــذه البنت التي كانت ليلةُ إنجابها كالدّهر ، ويعيد الكرّة في الحديث عن كرهه للبنات ، ولكــن الآن حين يرزق ابنه بالبنت الرابعة ، حيث يقول : [3]

كَمُلَــت لإبنــي بنــاتٌ أربــع ... والتــي جــاءَت تمــام الخاتِمَــهْ
قــال : قــد ســميتها رابعــة ... قلــتُ إيــاك وأخــرى طارمَــهْ

ولكن أشد الشعراء سخرية من المرأة هو صفي الدين الحلّي الذي يُعَمّم سخريته مــن النّساء بِعَدّهنّ ناقصات عقلٍ وحظٍ ودين مستغلاً ثقافته الدينية في بَرْهَنةِ ذلك ، داعياً إلى عَــدَم إطماعهن وإلا ستكون النتيجة ندماً أبدياً ، يقول : [4]

تَوَقــوا النِــساءَ فــإنَّ النِــساءَ ... نَقــصنَ حُظوظــاً وَعَقــلاً وَدينــا

---

(1) القيراطي ، **ديوانه** ، 303.
(2) الصفدي ، **فضّ الختام عن التورية والاستخدام** ، 214.
(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.
(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 544.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَكُـلٌّ بـِهِ جـاءَ نَـصُّ الكِتـابِ وَأوضَـحَ فيـهِ دَلـيلاً مُبينـا
فَأمّـا الـدَليلُ لِـنَقصِ الحُظـوظِ فَـإِرثُهُمُ نِـصفُ إِرثِ البَنينـا
وَنَقـصُ العُقـولِ فَـإِجراؤُهُنَّ بِنِـصفِ الـشَهادَةِ فـي الـشاهَدَينا
وَحَـسبُكَ مِـن نَقـصِ أديـانِهِنَّ مـا لَـستَ تَـزدادُ فيـهِ يَقينـا
فَـواتُ الـصَلاةِ وَتَـركُ الـصِيامِ فـي مُـدَّةِ الحَـيضِ حينـاً فَحينـا
فَـلا تُطمِعـوهُنَّ يَومـاً فَقَـد تَكـونُ النَدامَـةُ مِنـهُ سِـنينا

أما البهاء زهير ، فيسخر من امرأة تتـصابى رغـم هرمهـا وكبـر سـنّها ، فقـال يهجوها:[1]

وَلَقَـد رَأيتُـكِ فـي النِقـا بِ وَذاكَ عُنـوانُ الكِتـابِ
وَسَـأَلتُ عَمّـا تَحتَـهُ قـالوا عِظـامٌ فـي جِـرابِ

يصف الشاعر هذه المرأة وصفاً طريفاً حين يشبهها بِعظامٍ في جراب للدلالة على هرم سنّها ، ولكنه لا يكتفي بهذا القدر من السخرية والإهانة ، فيكمل قائلاً : [2]

فَـإِذا عَـدَدتُكِ فـي الكِـلا بِ حَطَطـتُ مِـن قـدرِ الكِـلابِ

يُهينها ويحطُّ من قدرها ويجعلها في الحضيض حين يفضل الكلاب عليهـا ويـرفض نسبتها إليها حتى لا يحطّ من قدرهم .

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 31.
(2) نفسه ، 32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : السُّخرية من المغنيين والمغنيات :

ربط الشعراء بين الصوت والصورة ، أي صوت المغنية وصورتها ، مؤكدين على ضرورة الانسجام بينهما ، فكأنهم جعلوا شرط الجمال بوجود الصوت والصّورة معاً ، وأن الجمال وحدة لا تتجزّأ . [1]

ومن هذا المنطلق سخر بعض الشعراء من المغنيات اللاتي يتوافر لديهن الصوت الجميل ، ولكنّهن قبيحات ، يقول ابن الوردي في مغنيةٍ حسنة الحلق قبيحة الخلق.[2]

بـــاللهِ إنْ غنّيـــتِهِمْ فتبرقعـــي ... يـا نزهـة الأسـماع لا الأبـصار
غنّيـتِ سـافرةً لهـمْ فقلـوبُهُمْ ... فـي جنَّـةٍ وعيـونُهمْ فـي نـار

قلوبٌ في الجنة ، وعيون في النار ، كان وقع هذه المغنيـة على المستمعين لها والناظرين لوجهها ، لذلك يرجوها الشاعر أن تتبرقع عند الغناء حتى يستمتعوا بصوتها دون المعاناة والعذاب من جرّاء رؤية وجهها القبيح .

أما الحلّي ، فيسخر من مغنيةٍ قبيحة الصوت ولكنَّ ضَرْبها أي عَزفها جميل ، ويرى أنها حَوَت ضدين في أحدهما أساءت للناس وفي الثاني سَرّتهم ، يقول : [3]

حَـوَت ضِـدّين إذ ضَـرَبَت وَغَنَّـت ... فقـد سـاءَت وَسُـرَّت مَـن رَآهـا
غِنـاءٌ تَـستَحِقُّ عَليـهِ ضَـرباً ... وَضَـرباً تَـستَحِقُّ بـهِ غِناهـا

كما قال في مطربٍ ثقيل : [4]

وَشـادٍ يُـشَتِّتُ شَـملَ الطـرَب ... يُميـتُ الـسُرورَ وَيُحيـي الكُـرَب
بوَجـهٍ يُبيـدُ إذا مـا بَـدا ... وَكَـفٍّ تَـضُرُّ إذا مـا ضَـرَب
شَـدا فَغَـدا كُـلُّ قلـبٍ بـهِ ... قليـلَ النَـصيبِ كَثيـرَ النَـصَب
تَغَنّـى فَعَنّـى قُلـوبَ الرفـاق ... وَمـاسَ فَمَـسَّ القُلـوبَ العَطَـب

---

(1) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 122.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 391.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 523.

(4) نفسه ، 523.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيُّ مغنٍ هذا الذي يتحدث عنه الشاعر ؟ إنّه مُغنٍ قَتَل روح الطربِ وأباد مغزى الفن الجميل للغناء والموسيقى ، إنه يميتُ السّرور ويحي الكرب ، لا وجهه جميل ولا غناؤه أو ضربه مُسْتَحسن ، تُعاني القلوب إذا تغنّى وتهلك . وقد أجاد الشاعر حين " قابل بين الغناء والعناء ، والميس والمس ، وشتان بينهما " . [1]

ويقول في مغنٍ جَمَع في القبح بين صوته وصورته ما يلي : [2]

غنّى بصَوتٍ مِثل سَوطِ عَذابِ وَبَدا بوَجهٍ مِثل ظهر غُرابِ
فوَدَدتُ أنّي لا أراهُ فإنَّني بَكَرَتْ إلَيَّ مُغيرَةُ الأعرابِ

يسخر الشاعِر من صوت هذا المغني الذي كان كسوطِ عذابٍ يجلدهم به ، ويسخر من صورته التي بدت كظهر غراب ، فتمنى الشاعر ألا يراه لقبحه .

ويسخر محمد بن علي الواسطي من عوادٍّ وزامرٍ بقوله : [3]

شبَّهت ذا العواد والزامر إذ ضاقت علينا بهما المناهج
بعقربٍ يضرب وهو ساكت وأربدَ ينفخ وهو خارج[4]

صورتان ساخرتان لكلٍّ من العواد والزامر ، يصور الأول فيها على أنّه عقرب يضرب وهو ساكت ، والثاني كالحيّة الخبيثة ينفخ وينفث سَمّه ، وهما بهذان التشبيهان قد اقتربا من قَتل من يستمع إليهما من وجهة نظرِ الشاعِر .

ويتلاعب سيف الدين بن المشد بحروف لفظة عوّاد مُستعيناً بها على إظهار سخريته بقوله : [1]

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 300.
(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 523.
(3) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 504/4.
(4) الأربد : ضرب من الحيات خبيث ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ربَد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَوّادنـــا قـــد طُمِـــسَت عينُـــه فعـــــاد بالتـــــصحيف قـــــوّادا
مـــــا عـــــــاد إلا لعاداتِـــــــه لأجـــــل ذا سُـــــمّى عـــــوّادا

وهناك صور أخرى طريفة اتبع فيها الشعراء أسلوب السخرية ، ومنها هجاء الـسراج المحار لامرأة سوداء رآها تعزف على المزمـار ، فأتحفنـا بـصورة فنيّـة تبـدو كرسـمة كاريكاتورية لها بقوله : [2]

ولَـرُبَّ زامِـرةٍ تهـيجُ بزمرهـا ريـح البطـون فليتهـا لـم تزمُـر
شـبّهت أنملهـا علـى صِـرناجها وقبيح مبسمها الشنيع الأبخر[3]
بخنـافِسٍ قـصدت كنيفـاً واغتـدت تَسْعَى إليـه علـى خيـار الـشّنبر[4]

فهو يسخر من عزفها في البيت الأول ، ويوغل في السخرية في بيتيه الثاني والثالـث حين يشبّه أصبعها الأسود ومبسمها القبيح ذو الرائحة الكريهة بخنافس ذاهبة إلى كنيفٍ ، وذلك لبيان شدة قبحها وقوّة رائحتها النتنة.

هكذا ، نرى كيف جعل الشعراء من أنفسهم نقّاداً يصدرونَ أحكاماً للدّفاع عـن القـيم الفنيّة المتمثلة في الغناء ، وما يصحبه من موسيقى وعزفٍ وألحان ، معتمدين في ذلك علـى حاستي الذوق والسّمع عندهم [5] مُسخّرين السخرية في سبيل هجائهم وفضح عيوبهم .

---

(1) ابن المشد ، سيف الدين ، **ديوانه** ، 47.
(2) العباسي ، إبراهيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، 106/2.
(3) البخر : الرائحة المتغيرة من الفم ، والنتن يكون في الفم وغيره ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة نَجَر .
(4) الخيار الشّنبر : ضربٌ من الخَروب ، شجرة مثل كبار شجر الخوخ ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة خَيَر.
(5) عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : السُّخرية من الخدم والجواري :

هناك أناس لا يملكون من أمرهم شيئاً، قدر لهم أن يكونوا أدنى مرتبة وأقل منزلة من غيرهم، ومع ذلك لم يسلموا من لسان الشعراء الذين هجوهم وذموهم وسخروا منهم. فإبن الوردي الذي عاشرهم يرى أنهم لؤماء غلاظ وهذا رأيه فيهم من خلال تجربته معهم حيث يقول : [1]

إنَّ الأرقاءَ غلاظٌ لُؤَما وكلُّ مَنْ جرَّب هذا عَلِمَا
ما أطيبَ المالَ وأحلى النِّعَما لولا مقاساةُ العبيدِ والإما

فهو يؤكد بأسلوبه التّهكمي اللاذع لؤم والأرقاء وغلاظتهم ، ويرى أن طَيب المال وحلاوة النعمة يُنَغّصان من جراء مقاساةِ العبيد والإماء ، ويقول في خادمٍ خان مخدومه : [2]

في ظرفِ خمرٍ خانَ مخدومَهُ فامتلأ المخدومُ غيظاً عليهْ
لا بدْعَ في ظرفٍ أتى فاصلاً بينَ مضافٍ ومضافٍ إليهْ

أما إبراهيم المعمار ، فتشتد سخريته منهم إذ يرى أنهم لا تُرتَجى مكارمهم ، ويقول إنه ليس عندهم حشمة ، جاعلاً هذا المعنى في توريةٍ ساخرةٍ بقوله : [3]

وإنَّ من الخُدَّام من ليسَ تُرتَجى مكارمه ، فالبُعدُ عَنه غنائمُ
ولا تَكُ مِمن يتهمهم بحشمةٍ فليسَ لهم بين الرّجال محاشمُ

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 340.

(2) نفسه ، 256.

(3) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا نرى كيف لم يسلم حتى الخدم من سخرية الشعراء ، مع أنهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً ، لا إن مُدحوا ترتفع مكانتهم ، ولا إن ذُمّوا تنزل مكانتهم وينحط قدرهم ، ولكنّ الشعراء أرادوا بالسخرية منهم الإتيان بمعانٍ جديدة والإبداع في القول . [1]

رابعاً : السُّخرية من الأدب والأدباء :

رأى الشعراء في البداية أن الأدبَ خير وسليةٍ للخلاص من واقعهم السّيء وتخيّلوه سُلّماً للانتقال إلى مكانةٍ اجتماعية أعلى ، وظنّوا فيه مصدراً للرزق ، فضلاً عن كونه اثباتاً لمواهبهم وإمكاناتهم ، لكنَّ آمالهم خابت ، فالممدوحون لا يعطونَ على مَدحهم ، وإن أعطوا كان العطاءُ قليلاً ، وهنا تحطمت أحلامهم على أرض الواقع ، وتبدّدت أمالهم في سماء الحقيقة ، فالأدب والشعر لم يغيّرا من أمرهم شيئاً ، بحيث رفض المجتمع رفع مكانتهم [2] ومن هنا ، آثر فريق من الشعراء الاحتراف بحرفةٍ تُيسّر لهم الرّزق ، وتحفظ ماء وجوههم وتُبقي على كرامتهم . [3]

يقول الجزّار مادحاً صناعته ناعياً على صناعة الأدب والشعر : [4]

كيف لا أشكُر الجزراة ما عِشْتُ حفاظاً وأرفضُ الآدابا
وبها صارت الكلاب تُرَجيني وبالشعر كُنت أرجو الكلابا

ويُكرر في المعنى نفسه : [5]

لا تعبني بصنعة القصّابِ فهي أزكى من عَنْبر الآدابِ
كان فضلي على الكلاب فمذ مَدَ حتُ أديباً رجوت فضل الكلاب

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 133.
(2) ينظر :نفسه ، 207.
(3) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 4/7.
(4) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 316/1.
(5) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 248.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الأبيات السابقة بما احتوته من سخريةٍ ، كما يقول أحمد أحمد بدوي تدلُّ على ثورةٍ في نفس الشاعِر ، ناجمةً عن إخفاقه فيما كان يُعلّق عليه كبارَ الآمال . [1]

أما ابن نباته فيحدّثنا عن حال الشعراء ومكانتهم الاجتماعية ، ويتحسَّر على ضياع الشعر في زمانه ضيعةَ السّيف في يدٍ شلاَّء بقوله : [2]

فأجلَّ عني حالاً أرانيَ منها ... كلَّ يومٍ في غارةٍ شعواء
فكفّى من وضوح حاليَ أنّي ... في زماني هذا من الأدباء
ضاع فيه لفظي الجهير وفضلي ... ضيعة السيفِ في يدٍ شلاَّء

ولم يَنْعَ ابن نباتة وحده على صناعة الشّعر وموقف الناس منه ، فالوّراق يقول : [3]

رَفَضُوا الشِّعْرَ جَهْدَ هُمْ ورَمَوْهُ ... بَيْنَهُمْ بالهَوَان والإزْدِراءِ
فَلَوْ أنَّ الكِتابَ كانَ بأيْدِيـ ... ـهِمْ مَحَوْا مِنهُ سُورةَ الشُّعَراءِ

باسلوبه السّاخر وروحه الفكهة يبيّن لنا الشاعِر مدى كره الناس للشعر إذا وصل بهم المدى في كرهه إلى محوِ آية الشعراء من القرآن لو كان بأيديهم ، وكردّةْ فعلٍ على كره الناس للشعر والشعراء ، صار الشاعِر يبتعد عن لقاءِ الناس محاولاً عدم الاحتكاك بهم ، مُبيّناً ذلك في قوله : [4]

أصون أديمَ وجهي عَنْ أناس ... لِقَاءُ المَوْتِ عِنْدَهُمُ الأديبُ
وَرَبُّ الشِّعْرِ مَمْقُوتٌ بَغِيضٌ ... وَلَوْ وَافَى بهِ لَهُمُ حَبيب

أما ابن الوردي ، فلم يرثِ للحالِ الذي وصل إليه الشعر ، بل رثى الحال الذي يمكن أن يصلَ إليه الشاعر إذا نظم الشعر وقاله ، ومن هنا ، نهى ابنه عن نظم الشعر قائلاً : [5]

بُنَيَّ إياكَ ونظمَ الشعر ... فإنهُ بالعلماءِ يُزري

---

(1) ينظر : **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 290.
(2) ابن نباتة ، ديوانه ، 7.
(3) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 246.
(4) نفسه ، 246.
(5) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 388.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واللهِ لـــولا شـــهرتي وذكـــري بـالعلمِ كـان الـشعرُ حـطَ قَـدري

أي سخرية أقسى من تفضيل العلم على الأدب ، واعتبار الأدب ونظم الـشعر أمـراً يَحُطُّ من قدرِ الإنسان ويُهينه .

هذه الأبيات والأبيات التي سبقتها تنطـق بـأنّ الجنايـة علـى الأدب وليـدة البيئـة الاجتماعية، ولكنها أيضاً من البيئة السياسية ، ذلك أنّ البيئة السياسية لم تجذِب الـشعراء ولـم تُعنهم على صناعتهم ، ولو أنها فعلت لكان للشعر صَدى آخر في هذا المجتمع . [1]

وفي هذا المجال أيضاً ، نجد سخرية ممن يَدَّعون نظم الشّعر وليس لهم شعر ، يقـول الشاب الظريف في ذلك : [2]

وَرُبَّ نـاظِمِ أشْـعارٍ وَلَـيْسَ لَـهُ شِعْرٌ فَهلْ مِثْلُ هذا سارَ في السِّيرِ

ويسخر الخياط من المتشاعرين أو الشعاريرِ الذين يحاولون نظم الشعر بغية الـدخول في عداد الشعراء ، يقول : [3]

وفـي مُتـشاعِري عـصري أنـاسٌ أقـلُّ صـفات شِـعْرُهُم جنـونُ
يظنـونَ القـريض قيـام وزنٍ وقافيـة ومـا شـاءَت تكـون

فهو يَصف شعرهم بالجنون ، ويسخر من عقليتهم وطريقة تفكيرهم إذ يظنـون بـأنَّ الشعر مجرد وزن وقافية ، وما دروا أن هذا تصنّع وليس نظم ، وهم بهذا يكونون أبعـد مـا يكون عن الشعر ونظمه .

أما ابن دانيال ، فيسخر من شخصٍ يتشبه بالشعراء ، بقوله : [4]

ونـابح قـدِ افتَـرى تَـشَبُّهاً بالـشُّعرا
يلـوك شـعراً يابـساً مـن طبعـة مُحجِّـرا

---

(1) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 14/7.

(2) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 165.

(3) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 342/1.

(4) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 141.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشبه الشاعر هذا المتشاعر بالكلب الذي ينبح ويرى أن شعره يابس كطبعه المتحجّر ،

ثم يُطَالب الشاعِر بإيقافه عن نظم الشعر لأن شِعره قبيح مبتذل ، فيقول : [1]

فقُـــلْ لـــهُ يكـــفُّ عـــن هـــــذا ..... مُقـــــصِّرا[2]
إذْ شـــــــعرُهُ كَدَقنـــــــه وَدَقنـــــــهُ مثـــــلُ .....[3]

ويسخر الوراق سخرية ابن داينال ، حيث يتحدث عن شخص أنشده شعراً وطلب رأيه

فقال له : [4]

أنـــشَدَني شِـــعْراً بـــهِ ظنَنْـــتُ فُـــاهُ مَبْعَـــرا
وَقـــالَ لـــي كَيْـــفَ تَـــرَى قُلْـــتُ أرَى مِثـــلَ الخَـــرا
فقـــالَ لـــى اســـمَعْ غيـــرَهُ قُلْـــتُ كَفَـــى مـــا قـــد جَـــرَى

(1) نفسه ، 141.

(2) الكلمة محذوفة من المصدر .

(3) الكلمة محذوفة من المصدر .

(4) العيني ، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 332.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مالَ الوراق إلى ألفاظٍ عامية في وصف شعر هذا الرّجل ليزيد من حِدة السُّخرية فـــي الأبيات السابقة .

أما الخباز الحموي ، فيقول في شاعرٍ اسمه الزّغاري : [1]

نَـبَحَ الزّغـاري عنـدَ نَظـمِ موشّـحٍ وكمــال نظمــي بالــسّفاهةِ نَقّـصَا
فـضربته بعصا الهجـا لمّـا عَـوَى فأصبتُ مصرعه ولم تضع العصا

على ما يبدو من الأبيات السابقة ، فإن هذا الشاعر المسمى " الزّغاري" قد ابتدأ بهجاء الخباز الحموي وسفّه شعره وسخر من نظمه ، فبادله الخبــاز الحمــوي الهجــاء والــسخرية وضربه بعصا الهجاء بوصفه كلباً ينبح وشعره مجرد عواء ، ويرى أنــه أصــاب مــصرعه وانتقم منه .

ومن سوء حظ الجزار ، أن الله سلط عليه شاعراً هو مجاهد الخيــاط ، ســخر منــه وهجاه ، وشكك في نزاهة شعره ، بقوله : [2]

أبـــــا الحـــــسين تـــــأدَّب مـــا الفخـــر بالـــشّعر فَخْـــرُ
ومـــــا تبللـــــت منـــــه بقطـــــرةٍ وهـــــو بَحْـــــرُ
وإن أتيـــــت ببيـــــتٍ ومـــــا لبيتـــــك قـــــدْرُ
لـــــم تـــــأتِ للبيـــــت إلا عليـــــه للنـــــاس حِكْـــــرُ

" وقد كان الجزار موضع نقمةٍ لدى الشعراء لكثرة حظوته لدى الحكــام ، ولــسلاطة لسانه "[3] ويبدو أن هذا الأمر قد أغاظ الخياط فسخر منه بهذه الأبيات وتهكم بشعره .

---

(1) الحموي ، ابن حجّة ، **كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام**، 111.
(2) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 331.
(3) الحسين ، قصي ، **الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني** ، 236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان الخياط قد سخر من شعر الجزار ، فهذا أمر طبيعي مقارنةً مع سخرية الجزار من نفسه ، إذ يسخر منها وممن يحتفون بها ، ولا يجد غضاضةً في إرسال سخريته صريحة سافرة [1] في قوله : [2]

وقد شاركتُ في لغةٍ ونَحْوٍ ... بلا عِلمٍ .. وشاعَ بذاكَ ذكري
وفي عِلم العروض دخلتُ جهلاً ... وَعُمْتُ بخفتي في كلّ بحرِ
فأذكرني به التفعيل بيتاً ... تضَمَّن نصفه الشّيخ العمرّي
مفاعلتن مفاعلتن فعولنْ ... حديث خرافةٍ يا أمّ عمرو
وعيشك لست أدري ما طحاها ... وقد أقررت بأنّي لست أدري
كأني مثل بعض النّاس لمَا ... تعَلّم آيتين فصارَ مُقري

يُقرّ الشاعر بأنه لا يدري في العروض ولا في الشّعر شيئاً ساخراً من نفسه ، وإنما تأتي هذه السّخرية في باب التحامق والسخرية من الذات .

ولكنَّ الأبيات السابقة لا تدل على أنّه كان بلا علم أو ثقافةٍ كما يقول ، ولا تبرهن أنه يجهل السّمات البارزة في أدب عصره [3] لأن أدبه زاخرٌ بما يثبت عكس ذلك ، وإنما قيلت هذه الأبيات في باب التحامق وعلى سبيل السخرية كما أشرنا سابقاً .

(1) ينظر : القباني ، عبد العليم : **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 38.
(2) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 315/1.
(3) ينظر : القباني ، عبد العليم : **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً : السُّخرية من أهل العلم والفضائل :

لم يكن حال العلم أفضل من حال الأدب ، فابن الوردي يرى أن العالم لا علماء فيــه ، يقول : [1]

مـــاتَ أهـــلُ العلـــمِ مـــالي لا أرى إلاّ جهـــــــــــــولاً

وتراه في أبيات أخرى يدعو إلى عدم الحرص على الفضل والعلم والأدب لأن ذلك قد يضرُّ من يلاحقها ، يقول في ذلك : [2]

لا تحرصـنَّ علـى فـضل ولا أدبِ فقـدْ يـضرُّ الفتـى علـمٌ وتحقيـقُ
ولا تعــدَّ مـــنَ العقـــالِ بيـــنهمُ فـإنَّ كـلَّ قليـلِ العقـلِ مـرزوقُ
والحـظُّ أنفـعُ مـنْ خـطٍّ تزوقّـهُ فمـا يفيـدُ قليـلَ الحـظِّ تزويـقُ

فهو يسخر من العلم معتبراً أن الحظّ أنفع منه لأن قليل الحظّ لا يفيده علمــه ، ويــرى الشاعر أن كل ذي عقل لا حظّ له ، وكل قليل العقل مرزوق .

ويوافقه ابن دقيق العيد الرأي ، ويرى أن الجّهال لهم في الدنيا مريحان هم فرط الغنى والجهل ، وبعكسهما العلماء لأن عندهم المتعبان العلم والعدم ، يقول : [3]

أهل المناصب فِي الدنيا ورفعتها أهـل الفـضائل مرذولـون بيـنهمُ
قـدْ أنزلونـا لأنـا غيـر جنـسهم منازل الوحش فِي الإهمال عندهمُ
لهم مريحان من جهل وفرط غنىً وعنـدنا المتْعِبـانِ العِلْـمُ والعـدَمُ

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 231.

(2) نفسه ، 278.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 193/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً : السُّخرية من الحرف والحرفيين :

سخر بعض الشعراء من حرفهم وذمّوها وأظهروا تبرُّماً منها ، والغريب أنهم كانوا يمدحونها أحياناً ويهجونها أحياناً أخرى ، ولكن ، لماذا كانوا يذمونها ويتبرمون منها ويسخرون كذلك ؟ تكمن الإجابة على هذا السؤال بالقول إن حرفهم لم تَعُدْ عليهم إلا بالمهانة وازدراء الناس لهم ، لذلك كانت تتملكهم رغبة شديدة بترك حرفهم التي رأوها سبباً من أسبابِ تعاستهم وانحطاط مكانتهم ، فوصَل ضيقهم بها إلى هجائها ، وندب حَظّهم العاثر الذي أوقعهم بها . [1]

يصوّر لنا الورّاق هذه المأساة بقوله : [2]

بعتُ خُفّي في أرضكم من حِرافٍ حفَّ بي أو أصارني للتَّحفي
ثمَّ أتبعته ندامة نفسٍ أحوجتني لأكل خفي وكفّي

تظهر هذه الأبيات أن الحرف لم تعد على الشاعر بشيء ، بل إنَّه اضطر لبيع خفّه وأَحالته الحرفة للتحفي ، ويزيد الشاعر من وقع السّخرية بأن يبيّن مأساته مع هذه الحرف التي أحوجته لأكل خفّه وكفّه .

أما الجزار ، فلم يجدْ غير ساعديه يشق بهما الطريق المُضني الذي ينتظره ، وهو طريقٌ شاق لم يشعر فيه بأيّ لونٍ من ألوان الرّضا ، فقلةُ الأجرِ الذي قُدِّر له أن يحصل عليه من حرفته لم يكن يفي بضروریاته بالرّغم من سَعيه في سبيله [3] ومن هُنا ، كان الجّزار أكثرَ

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 197.
(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 146/1.
(3) ينظر : القباني ، عبد العليم : **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعراء شكوى من الحرف ، حيث أوصلته حرفته إلى اليأسِ من حياته لشدّة مـــا لحقـــه مـــن أذى، فذمها وسخر منها ، وبدأ هذا الضيق بحرفته وذمّها [1] بقوله : [2]

حَـسْبي حِرافـاً بحرفتـي حـسبي ... أصـبحتُ فِيهـا مُعَـذّبُ القلـبِ
موسَّـخُ الثّـوبِ والـصحيفةِ مـن ... طـول اكتـسابي ذَنْبـاً بـلا ذَنـبِ
أعْمَـلُ فـي اللحـم للعـشاءِ ولا ... أنـالُ منـه العـشا فمـا ذنبـي
خَلِـيٌّ فـؤادي ولـي فـمٌ وَسِـخٌ ... كـأنّني فـي جزارتـي كلبـي

مشهد ساخر ، يمزج بين الضحك والألم في آنٍ واحد ، يتحدّث فيه الشاعر عن معاناته في حرفته "الجزارة" ، فما أقسى حياة مثل هذا الإنسان الذي لا يستطيع الأكل من شـيءٍ مـن بين يديه ، ليس هذا فقط ، إنّه يصف لنا حاله في هذه الحرفة ، فهو موسّخ الثوب والـصحيفة وفمه وَسِخٌ كذلك ، كل هذا العذاب الذي اجتاحَ قلبه تحوّل على لسانه إلى سخريةٍ صاغها فـي جوٍ من الضحك الممزوج بالألم .

ويقول في قصيدة أخرى : [3]

أصـبحتُ لحّامـاً وفـي البيـت لا ... أعـرف مـا رائحـة اللحـم
ولـيسَ حظّـي مِنـه إلّـا اسْـمه ... قنعـت مـن ذلـك بالاسـم
واعتضت من فقري ومن فاقتي ... عـن التـذاذ الطعـم بالـشّم
جهلتـه فقـراً، فكنـت الـذي ... أضـلّه الله علـى عِلـم

الجزار لحّام ولكن لم يُقسم له من اللحم إلا اسمه ، فهو في بتيه لا يعرف رائحة اللحم، ولعظم بليته استغنى عن التذاذ الطعم بالشّم ، وأصعب ما في الأمر أن جهله كان على علمٍ منه ومعرفة.

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 204.
(2) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 316/1.
(3) نفسه ، 317/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما ابن داينال ، فإنّه تبرَّم بحرفته أيضاً ، وأشار إلى قلّة ما تعود بـــه عليـــه ، حيـــث يقول: [1]

يا سائلي عنْ حرفتي في الورى وضـــيعتي فـــيهم وإفلاســـي
مـــا حـــالُ مَـــنْ درهَـــم إنفاقـــه يأخـــذهُ مـــن أعُـــين النّـــاس

يصوغ الشاعر تبرّمه من حرفته وسخريته منها على شكل نكتةٍ متمثلةٌ في توريته " يأخذه من أعين الناس " وتتمثل التورية بين صنعة التكحيل والقول العامي يأخذ الشيء مـــن عينه ، فطبيب العيون يأخذ رزقه جراء معالجته العيون . وما يهمنا هنا أن الشاعر أراد بيـــان مدى صعوبة تحصيله للرزق من خلال توظيف المثل الشّعبي ، كل ذلك بأسلوبٍ ساخرٍ فكه.

وابن دانيال هو القائل أيضاً : [2]

طبيب غدا في الكُحْل غيرَ مُوَفق لَـهُ حكمـة تَجْنـي علـى العين والـسَمْع
إذا أرمَـــدٌ وافـــاهُ يَـــشكو تألمـــاً منَ العين داوى العينَ كالضِّرس بالقلع

تختلف هذه الأبيات عن التي سبقتها بالرغم من تناولها للموضوع نفسه ، وهو الحرفة، حيث أصاب الشاعر هنا بسخريته طبيباً أخر يُدعى موفق ، جاعلاً طبيعته في العمل مُتنافيـــة مع معنى اسمه ، فهو في طبّه غير موفق ، يجني على الناس ، يداويهم إذا مـــا اشـــتكوا مـــن أعينهم بقلعها كما يُقلع الضرس ، بلا تفريقٍ بين الأمرين .

ولربما أراد ابن دانيال التشهير بمنافسة هذا ليُنَفّر الناس منه ، فسخر منه ومن طريقته في مداوة العيون . [3]

ويقول في طبيبٍ آخر يُدعى أبو علي : [4]

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 92.
(2) نفسه ، 93.
(3) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 188.
(4) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَقولــونَ: الطّبيــبُ أبــو عَلــيٍّ يبَــذْلُ الجــودَ مبــسوطَ اليَــدَين
فقلـتُ : علمـتُ ذلـكَ وهـوَ سَمْحٌ يُــضَيِّعُ كُــلَّ يــوم ألــفَ عَــين

ببراعةٍ ، يحوّل الشاعر صفةً حميدةً في هذا الطبيب إلى مادةٍ لــسخريته ، إذ يوافــق على أن أبا عليٍّ كريم سمح جواد ، وبرأي الشاعرِ يكمن كرمه في تضيعهِ للعيــون بكميــاتٍ هائلة ، إذ يُضيّع كلّ يومٍ ألف عين .

وكذلك سخر من جرّاح عيون بقوله : [1]

صــاحبُنا الآســي لــم يُعْطــه رحمــانُ فــي صَــنْعَته علمــاً ال
وكُلّمــا أعمــى عُيــونَ الــورى قــال لنــا: إنَّ الحديــدَ أعمــى

سخر ابن داينال من هذا الجراح ، وحَكم عليه بالجهل ، وسخر من تبرير هذا الجراح إعمائه العيون وإطفاء نورها بإلقاء اللوم على الحديد الأعمى الذي لا يرى .

أما الإسعردي ، فقالَ يهجو كحّالاً بقوله : [2]

دعوا الشَّمس من كُحل العيونِ فكفُّه تسوقُ إلى الطّرفِ الصحيح الدواهيا
فكــم ذَهَبــت مــن نــاظِرٍ بــسواده وخلَّــت بياضــاً خَلْفهــا ومآقيــا

(1) نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، 230/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وينحى صفي الدين الحلي هذا المنحى في السخرية من الأطباء ، ومن ذلك ما قاله في طبيبٍ يُدعى إسحق ، حيث يقول : [1]

مَباضِعُ إسحاقَ الطبيبِ كَأَنَّها لَها بفَناءِ العالَمينَ كَفيلُ
مُعَوَّدَةٌ أَلّا تُسَلَّ نِصالُها فَتُغمَدَ حَتّى يُستَباحَ قَتيلُ

فكأن مباضع هذا الطبيب المسمى إسحق كفيلة بفناء الناس ، فهي معودة ألا تعود إلى أغمادها بعد إخراجها إلا بعد تصوير قتيل ، وكأنَّ ملك الموت جاثم على حافتها متحضّر لاستلام الأرواح .

ويقول في طبيبٍ آخر اسمه عيسى : [2]

أرى فيكَ يا عيسى الطبيبُ فضيلَةً هِيَ الضِدُ مِن أفعالِ عيسى بنِ مَريَمِ
تُميتُ لَنا الأحياءَ مِن غَيرِ عِلَّةٍ وَتُضني وَتُغني باليَدَينِ وَبالفَمِ
وَتَحمي وَلَكِن عَن شِفاءٍ وَصِحَّةٍ وَتَحقِنُ إِلّا لِلحَياءِ وَلِلدَمِ
فَما أَنتَ إِلا خَبطُ عَشواءَ مَن تُصِب تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيُهرَمِ[3]

يَستَحضر الشاعر معجزة سيدنا عيسى في إحياء الموتى وطبابة الجرحى ليجعل الضد منها أفعال مهجوّه عيسى الذي يميت الأحياء من غير عِلّة ويُمرض الأصحاء ، ثم يصب مهجوه بالسّخرية مَرّة اخرى من خلالِ التضمين من بيت زهير بن أبي سلمى ، الذي يقول:[4]

رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 530.
(2) نفسه ، 531.
(3) العشواء : الناقة العمياء والخبط : السير على غير هدي ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة عشي ومادة خَبطَ .
(4) زهير بن أبي سلمى ، **ديوانه** ، 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيجعل الشاعر هذا الطبيب نظيراً للموت ، كلاهما يتخبطانِ كالناقة العمياء التي تسير على غير هديٍ ، من تُصب تمته ، ومن تخطئه يُعمّر فيهرم .

ويهجو ابن الوردي طبيباً يهودياً ، تدفعه لذلك نزعة دينية ، محذراً من هذا الطبيب الذي يرى الشاعِر أنه يأخذ بثأر آبائه ، مطالباً بعدم إهمال أمره ، حيث يقول : [(1)]

هـذا اليهـوديُّ الطبيـبُ الـذي … لا طـوَّلَ اللهُ لنـا عمـرَهُ
قـدْ أخـذَ الثـأرَ لآبائِـهِ … يـا قومَنـا لا تهملـوا أمـرَهُ
تخـافُ عـينُ الشمس مِنْ كحلِهِ … قائلـةً ربنـا اكفنـي شـرَّهُ
أيُّ مـريضٍ طبَّـهُ طمَّـهُ … وأيُّ طـرْفٍ ذرَّهُ ضـرَّهُ

مبالغةٌ شعرية في البيت الثالث في جعلِ عين الشمس تخاف من هذا الطبيب وتطلب من الله كفايتها شرّه ، حيث لا يسلم مريضٌ إذا وقع بين يده ، ولا طرف يمسه إلا يضره .

ومن الحرف التي كثر ورودها في الشعر ، العملُ في الحمام ، إذ اشتكى الشعراء من آلحمامات التي لم تتوافر فيها شروط الراحة للمستحمين ، فسخروا منها . ومن ذلك ما قاله ابن الأعمى في حمامٍ وجده سيئاً ووجد قيّمه أسوأ ، فسخر من كليهما بقوله : [(2)]

إنَّ حمّـامكم الـذي نحـنُ فيـه … قـدْ أنـاخ العـذابُ فيـه وخَـيَّم
مظلـم الأرض والسَّما والنّـواحي … كـلُّ عيـبٍ مـن عيبـه يـتعلَّم
وبـه مالـك غـدا خـازن النّـا … ر ، بَلـى مالـك أرق وأرْحَـم
كُلَّمـا قلْـتُ : قـد أطلْـتَ عـذابي … قـال لـي : إخسأ فيـه ولا تـتكلَّم
قلـتُ لمّـا رأيتـه يتلظّـى … ربنـا اصرف عَنّا عذابَ جَهنَّم[(3)]

يجعل الشاعر من الحمام بؤرةً للعيوبِ من كلِّ لونٍ وجنس ، منه تنطلق وعليه تقاس ، وهنا ابْتَدَع الشاعر من عيوب الأشياء الصّغيرة صورةً جديدة لمعابةٍ كبيرةٍ لا حدود لها . [(4)]

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 205.

(2) الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 736/7.

(3) اقتباس من قوله تعالى : "ïÏ%©!$ur šúqä9qà)tƒ $oY/u‘ ô$ÎŽñÀ$# $¨Ytã z>#x‹tã zO¨Yygy_ (¨bÎ)" سور الفرقان ، آية : 65.

(4) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 188.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الشعراء الذي ذمّوا حمّاماً ابن الوردي إذ يقول : [1]

حَمَـــامكمْ فـــي كـــلِّ أوصـــافِهِ كوجـــهِ شـــخصٍ غيـــر مـــذكور
شـــديدُ بـــردٍ وســـخٌ مـــوحشٌ قليـــلُ مـــاءٍ فاقـــدُ النـــور

لا يجد الشاعر في الحمام ما يرضيه ، فهو شديد البرد ، وسخ موحش ، قليل المـــاء ، لا نور فيه ، لذلك سخر منه الشاعِر وذمّه .

وله في ذَمّ قيم حمّام : [2]

حمَّـــامُكُمْ قيمُـــهُ شـــاطرُ هربْـــتُ منـــهُ وأنـــا صـــارخُ
قـــدْ ســـلخَتْ جـــسمي أظفـــارُهُ يـــا قـــومُ هـــذا الأســـودُ الـــسالخُ

يستمد الشاعر مادة سخريته وقوامها من هذا القيم الأسود الذي لا يُحسن عَمَله فيلقّبـــه بالأسود السَّالخ .

أما صفي الدين الحلي ، فيقول في حمّام : [3]

إنَّ حَمّامَـــــكَ قـــــد ضَـــــ ـــــمَت حَميمـــــاً وَحِمامـــــا
فَهـــيَ مِثـــلُ النـــارِ ســـاءَت مُـــــــستَقَرّاً وَمَقامـــــــا[4]

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 205.

(2) نفسه ، 309.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 527.

(4) اقتباس من قوله تعالى : " BR)Ær #v)Gó Ei ÖNä$™ $gR" سورة الفرقان ، آية : 66.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرّ الشديد في الحمّام جعله يشبهها بالنار التي ساءَت مستقراً ومقاما ، وهذا الحرّ هو نفسه الذي جعل المعمار يهجو حماماً ويَسخر منه مؤكداً عدم مقدرته على نسيانه يقول فيه: [1]

لَم أنْسَ حمّاماً دخلت بها ضُحاً فتصاعدت من حَرّها زفراتي
لا ماء فهيا والطهور مُنَجّس فخرجت منها بادي الحسراتِ

الحمام الذي يفترض فيه التّطهر طهوره مُنَجّس ، أي سخرية أشدُّ من هذه السخرية وأقسى ؟!

والمعمار نفسه الذي هجا الحمام يتحدث عن حرفي آخر هو الطّباخ ولكن بأسلوب رقيق فكهٍ مبيناً حبّه لهذا الطباخ وتعذيب الأخير له مستعيناً من مهنته ما يُعينه على بناء فكاهته ، حيث يقول : [2]

هَويتُ طبّاخاً سَلاني وقد قلا فؤادي بَعدما رَدّه مُحَرّقاً من هجره لم يَزلْ يغرف لي أحمض ما عِنده

(1) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 6.
(2) نفسه ، ق 8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعاً : السُّخرية من مواقف مختلفة :

نظم الشعراء مقطعاتٍ كثيرةً سخروا فيها من مواقف مختلفة يصعب إدراجها تحت العناوين السابقة ، أو تصنيفها ضمن عناوين منفردة ، لذلك ارتأيت جمعها تحت عنوان السخرية من مواقف متعددة .

ومن أول هذه المواقف : الصَّفع ، حيث أُولعَ الشعراء في العصر المملوكي به ، فعبروا عنه في أشعارهم ، والتصافع عادة جارية بين الناس في أعياد النيروز [1] وهو عيدٌ يحتفل به المصريون جرَت العادة فيه على إشعالِ النيران والتّراش بالماء والتصافع بالأنطاع.[2]

وقد استغلَّ بعض الشعراء الصفع ، فجعلوه مادةً قوامها السّخرية ، ومن ذلك ما قاله ابن دانيال في شخصٍ يُدعى سراج الدين : [3]

رأيتُ سراجَ الدِّين للصّفْع حاضِراً ولكنّهُ في علْمه فاسدُ الذِّهن
استره بالكفِّ خوفَ انطفائه وآفتُه منْ طفْئه كثرَةُ الدُّهن

ببراعة يبني ابن دانيال سخريته من مادة الصفع ولقب المهجو ، فيمزج بينهما ، لتأتينا هذه الصورة الساخرة التي يرى فيها الشاعر أن سراج الدين – صالح للصفع برغم فساد ذهنه وهو خير من يُصفع لأن ستره بالأكُفّ يحافظ عليه فلا ينطفيء.

---

(1) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 173/2.

(2) ينظر : المقريزي ، الخطط 279/1.و ينظر: أمين، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 259.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 337/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويكتب ابن داينال كذلك لصديق له يُدعى " البرهان" وكان به رَمد ومع ذلك لم يُــرحم ولم يسلم من الصفع ، فداعبه الشاعر بقوله : [1]

صُــفعَ البرهــانُ وَمَــا رُحمــا فَبَكــى مــنْ بعــدِ الــدّمْع دَمــا
قــدْ كــانَ شَــكا رَمَــداً صَــعْباً فــأزدادَ بــذاكَ الــصّقْع عمــى
وَرَمَــى النّــوروزُ أخادِعَــهُ حتّــى باتَــتْ تــشكو وَرمــا

لم ترحم الأكف هذا الأرمد ولم يسلم من الصّقع ، كما أن الشاعِر لم يرحمه فلم يــسلم من السُّخرية .

ويقول إبراهيم المعمار في هذا الأمر : [2]

ســألته عــن صــفعةٍ ، قــال لــي : جنايــة الــصَّفعة مــا مِنــه بُــد
صــاعٌ مــن التّمــر أحلــى بــه قلت : نعم ، أعطيك صاعاً ومَد

يقصد صاعاً ومداً من الصّقع لا من التّمر .

ومن الصفع ننتقل إلى موضوع آخر هو المرض ، فقد أعان الجدب والفقر على تفشّي عديدٍ من الأمراض والأوبئة بين الناس [3] ومن هذه الأمراض مَرض الطاعون الذي يقــول ، فيه ابن فضل الله العمري : [4]

قــــــبّح الطــــــاعون داءً ذَهَبــــتْ فيــــه الأحبَّــــهْ
أرخــــصُ الأنفــــس بيعــــاً كُــــلُّ إنــــسانٍ بحبَّــــهْ

لا شكّ أن الشاعِر مُتأثرٌ بما يفعله هذا المرض ، ولكنه لا يتوانى في استخدام عَــرَضٍ من أعراضه لبناء سخريته ، فالطاعون يصحبه دُمَّل كبير ، ويُحسن الشاعِر في توريته التــي صاغها بأسلوب فكهٍ ساخر .

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن داتيال** ، 136. و **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 336/1.
(2) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 9.
(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 269.
(4) غريب ، علي محمد علي ، **شعر ابن فضل الله العمري ، جمع وتوثيق ودراسة** ، رسالة ماجستير ، 295.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسخر ابن دانيال من دُمّلٍ طلع له إذ يقول : [1]

فسرّ لي عابرٌ منامًا أحسَنَ في قوله وأجملْ
وقالَ لا بُدِّ من طلوعٍ فكانَ ذاك الطلوعُ دُمّلْ

ويتلاعب بلقبه في موضعٍ آخر ضِمْنَ حديثه عن هذا الدّمل حيث يقول : [2]

كم قيلَ لي إذْ دُعيتُ شمساً لا بُدَّ للشمسِ من طلوع
فكانَ ذاكَ الطُّلوعُ داءً يَرقا إلى السّطح منْ ضلوعي

" فابن دانيال في هذه الأبيات ركّز على عنصر التورية في كلمة " طلوع " وما تُعطيه من معانٍ متناقضة تثير الضحك" .[3]

ومن الموضوعات التي سخر منها الشعراء ، الليل ، إذ يقول فيه البهاء زهير : [4]

لا رَعاهُ اللّهُ ما أطوَلَهُ تَحبَلُ المَرأةُ فيهِ وَتَلِد

حيث يصف طوله ساخراً منه بالمبالغة في وصفِ طوله مُستعيناً بما تقوله العامة .

وسخر الوراق من الوحدة ، بقوله : [5]

أفردتني الأيامُ عن كُلِّ خِلٍّ وأنيسٍ وصاحبٍ وصَديق
فلو أنّي مشيتُ في شهر آبٍ لأبى الظّلُّ أن يكون رفيقي

ولا يغرّنك الإطار الجدّي لهذه الأبيات ، ففيها من السّخرية والتهكم ما يدعونا للضحك، فهي أبياتٌ ظاهِرها جدٌّ وباطنها هَزَل .

ونراه يسخر في أبياتٍ أُخرى من الصَّبر ، مع أن الصَّبر محمود ، يقول : [6]

وَقائلٍ قالَ لي لَمَّا رأى قلَقي مِن انتِظاري لآمالٍ تُعنّينا

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 287.
(2) نفسه ، 169.
(3) أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 246.
(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 75.
(5) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 159/1.
(6) الصفدي ،صلاح الدين ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَواقِبُ الصَّبْرِ فِيما قالَ أكثرُهُمْ مَحمودَةٌ قُلْتُ أخشَى أنْ تُخرِّينا

فكما نرى ، حتى الصفات الحميدة لم تسلم من السّخرية .

ومن الأمور التي سخر الشعراء منها أو جعلوها مُعيناً لهم على السخرية ، الألقاب، حيث تهكم الشعراء من مجهوّيهم باستخدام ألقابهم في أشعارهم والتورية فيها لتخدم أغراضهم الهادفة إلى السُّخرية .

ومن ذلك ما قاله ابن تولو الفهري في الجزار وقاضي مصر الذي أمر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات مستثنياً الجزار ، مما أغضب ابن تولو فاستمدّ مادته من لقب المهجو وسخر منه بدافعٍ شخصي [1] في قوله : [2]

تقدَّم القاضي لنوّابه بقطع رزق البّر والفاجر
ووفَّر الجزار من بينهم فاعجب للطفِ التيس بالجازر

(1) ينظر : الحسين ، قصي ، الأدب العربي في العصرين المملوكي العثماني ، 236.

(2) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 369/7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يضرب الشاعِر عصفورين بحجر كما يقول المثل ، فهو يسخر من الجــزار لغيظــه منه، ويسخر من القاضي لاعتباره غير عادل ، فيجعله تيساً لطيفاً مع جَــازِره مــستغلاً هــذا اللقب في تكوين صورة ساخرة لكلا مهجوّيه .

ومن هذا القبيل سخرية مجاهد الخياط من الجزار أيضاً بقوله : [1]

إنْ تــــاهَ جـــزّاركم علـــيكم بفطنـــةٍ عِنـــده وكَـــيْس[2]
فلـــيس يَرجـــوه غيـــر كَلْـــبٍ ولـــيسَ يَخْـــشَاه غيـــر تَـــيْس

هنا يجعل الشاعِر مادة سخريته : لقب الجزّار ، وحَلَبَة ســخريته : مَهنــة الجــزارة ، موريا بلقبه ومهنته بأسلوبٍ فكه مضحك مُقللاً من قدر مهجوه بجعله في أدنى درجات المــروّة والكرامة حيث لا يرجوه غير كلب ، ولا يخشاه غير تيس .

وقد يسخر الشاعر نفسه من لقبه بقصدِ الإضحاك والتنكيت ومن هــذا القبيــل قــول الوراق : [3]

شـعريتي مُـذ رمـدت قـد حَبَـست طرفـي عـنكم فـصِرتُ محبوسـا
الحمـــدُ لِلّـــه زادنـــي شَـــرَفاً كنـــت سِـــراجاً فَـــصِرْت فانوســا

ولا يسخر الوراق من لقبه فقط ، بل نراه يسخر من لونه وشَيبه بقوله : [4]

ذُهَـــبَ الْعُـــصفر منّـــي وبَـــدَا قِـــرطمُ شـــيبي[5]
والتـــي قـــد ملكـــت رقـــ ـــي رَدّتنـــي بعيبـــي

---

(1) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 102/1.

(2) الكيس في الأمور ما يجري مجرى الرفق فيها ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة كَيَس .

(3) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 244.

(4) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 235.

(5) القرطم : حَبّ أو ثمر العصفر ولونه أصفر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة قَرْطَم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"حيث شبّه السراج الشيب بالقرطم ، وإنما حَسُن ذلك لأنه كان أَشقر " . [1]

وقد كان للبلدانِ أثرها ونصيبها من الهجاء والسُّخرية لسببٍ أو لآخر ، ومن ذلك هجاء ابن الوردي لمدينة شيزر[2] في قوله : [3]

قيـــلَ لـــي : شـــيزرُ نـــارٌ وبهـــا العاصـــي مخلَّـــدْ[4]
قلـــتُ :لا أمكـــثُ فيهـــا أنـــا مِـــنْ حـــزبِ محمـــدْ

يبدو أن شيزر مدينة مُناخها حار ، وهذا المناخ لم يُلائم الشاعِر فسخر منهـا مـستغلاً اسم النهر العاصي الذي يَمُر بها ، بانياً توريته بين اسم النهر ومعناه لبيان رفـضه المكـوث فيها، كل هذه السخرية ساقها بأسلوبٍ لا يخلو من النكتة والظرف .

ويبدو أن ابن الوردي كان كثير التّرحال ، حيث وقف بمدينة اسمها البيرة [5] فلم تَرُقه ، وسعد بارتحاله عنها ، ولأنّه لم يحبها ، سخر منها بقوله : [6]

إنمـــا البيـــرةُ بيـــرٌ رحلتـــي منهـــا ســـعادهْ
قيـــلَ والبيـــرةُ بيـــرٌ قلـــتُ بيـــرٌ وزيـــادَهْ

---

(1)الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 235.

(2) شِيزر : حصن شمال حماة ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، 3/308-382.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 335..

(4) العاصي : اسم نهر انطاكية ، وقيل نهر حماة بالشام من عمل حمص ، وهو نهرٌ عظيم ، عليه جسور يُعبر عليها ، وعليه نواعير كثيرة ، تخرج الماء غلى ما على جانبيه من المدينة ، ينظر : الحميري ، **الروض المعطار** ، 405.

(5) الْبيرَة : بلد قرب سمساء ، بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، 1/526

(6) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما صفي الدين الحلّي فيسخر من الغور[1] حيث الحرارة مضاعفة والبعوض كثيــر ، والذباب لا يبارحها ، يقول في ذلك : [2]

لا جــادَ هَطّــالُ الــسَحائِبِ بُقعَــةً ... بـالغَور أضـحَت وَهـيَ شَرٌّ بقاعِـهِ
أرضٌ تَـضاعَفَ حَرُّهـا وَبَعوضُـها ... فــي مَرجِهـا لَمّــا حَلَلــتُ بقاعِــهِ
وَخَـلا الـذُبابُ بهـا فَلَـيسَ ببـارِحٍ ... غَـرداً يَحُــكُّ ذِراعَــهُ بِذِراعِــهِ[3]

(1)الغور : المنخفض من الأرض ، ومن غور تهامة وغور الأردن بين بيت المقدس والأردن ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان**،217/4.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 528.

(3) البيت مضمن من شعر عنتره في وصف الذباب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرّابع

السُّخرية السياسية في الشعر

أولاً : السُّخرية من الملوك والأمراء .

ثانياً : السُّخرية من موظفي الدولة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرّابع

السُّخرية السياسية في الشعر :

إنّ من يتصفَّح آثار الشعراء في العصر المملوكي لا يلبث أن يغرق في الضحك لكثرة ما صنعوا من مُداعبات وفكاهات ، لم يقتصروا بها على رفقائهم وأصدقائهم فحسب ، بل تعدّوهم إلى ساستهم وحكامهم .[1]

" وتعرّض لنقد الرؤساء وهجائهم أكثر من واحدٍ من الشعراء ، ومن الرؤساء أُمراء الدولة وقضاتها ، ومن الرؤساء أيضاً من يُقيم ببابه ، أميناً أو كاتباً ، يُصرّف الأمور قبل إقبالها عليه ، وينظمها ويحسن تقديمها ، وقد يطغى ويغريه بالطغيان انصراف رئيسه عن متابعة عمله وتفتشيه ومراجعته ، فيصبح بعد قليلٍ هو الرئيس الفعلي والمتصرف الأول الحاسم فيما يُعرض على رئيسه ، ويؤدي ذلك في كثير من الأحوال إلى اضطراب الأمور وقلقها ، وإلى إثارة النفوس وحملتها " . [2]

ومن هنا نقول : إنّ فسادَ الحكّام والولاة والقضاة وحيلهم الواسعة ظلّت لوقتٍ طويلٍ مورداً غزيراً لظرف الظرفاء [3] ولكن هؤلاء الظرفاء لم يقصدوا التظارف والإضحاك بلا مغزى ، فانتقادهم وهجاؤهم للظالمين من الملوك والأمراء والعمال الفاسدين من القضاة وغيرهم – وإن كانَ بجوٍ من التفكّه والسّخرية – هو ما جَعَل شعرهم يُعدّ من مظاهر المقاومة

---

(1) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 72.

(2) سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 45/7.

(3) ينظر : القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 125.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعبية والتمرّد على الجور والمفاسِد الاجتماعية ، ومن هنا أتت أهمية شعرهم وتفـرّده فـي الشعر العربي . [1]

وقد قمت بتقسيم السخرية السياسية إلى قسمين هما : السخرية من الملوك والأمـراء ، والسخرية من موظفي الدولة ومستخدميها .

أولاً : السُّخرية من الملوك والأمراء :

أينما ولّيت وجهك في صحف هذا العصر ، وجدت الشعراء يُـضحكون معاصـريهم على حكّامهم وأمرائهم . [2]

ومن قبيل النقد السياسي نقد الملوك الصغار الذين يُقلّدون الحكم وهم دون سن الرّشد ، فيتولى عنهم السلطة رجالٌ آخرون ، مما يؤدي إلى انتشارِ الفساد والفوضـى [3] وقـد أتـى الجزار على ذكر ذلك بحديثه عن الملك الأشرف [4] الذي كان طفلاً صغيراً على الحكـم فلـم يستطع تدبير البلاد ، يقول فيه : [5]

والملـك الأشـرف كـانَ طِفـلا فلـم يُـدَبّر عَقْـدها والحـلا

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 125.

(2) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 72.

(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 251.

(4) هو الأشرف بن الناصر يوسف بن محمد ، وليَ السّلطة بعد شجرة الدر وخُلع في نفس سنة توليه أي سنة 648هـ ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 44.

(5) ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نظم ابن الوردي أبياتاً حين تسطلن الملك كجك [1] وكان صـــغيراً ، حيــث قــال فيه:[2]

سلطانُنَا اليومَ طفلٌ والأكابرُ في ... خُلْفٍ وبينهُم الشيطانُ قدْ نزغا
فكيفَ يطمعُ مَنْ مسَّتْهُ مظلمَةٌ ... أنْ يبلغَ السُّؤْلَ والسلطانُ ما بلغا

لا يسخر الشاعِر في البيتين السابقين من قضية صغر الحاكم فقط ، بل تتعدى سخريته إلى الوضع الذي آلت إليه الأمور ، والوضع كالآتي : السلطان طفلٌ ، وهناك من يتسابق على الحكم عوضاً عنه ، والشيطان نازغٌ بينهم ، كلّ ذلك يؤدي إلى تدهور الأمور والبلاد ، وأيــن الشعب من كل ذلك ؟! الشعبُ في حالةِ ضياعٍ وظلم ، فكيف يستطيع من مَسّته مظلمة من هذا الشعب أن يشكو أمره وان يبلغ سؤله ، وسلطانه لم يبلغ بعد ؟!

وقد سخر الشعراء كذلك من كثرة تغيير النواب وعزلهم فتوجّهوا في نقدهم أولاً نحــو رأس الأمر ومن بيده مقاليد الأمور ، وهي الدولة متمثلةً بالــسلطان ورجالــه فــي القــاهرة العاصمة [3] وفي ذلك قال ابن الوردي : [4]

هــــذي أمـــــورٌ عظـــــامٌ ... مِــنْ بعــضِها القلــبُ ذائــبْ
مـــا حـــالَ قطـــرِ يليـــهِ ... فـــي كـــلِّ شـــهرينِ نائـــبْ

(1) هو الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر بن محمد بن قلاوون ، تسلطن الملك سنة 742هـ ثم خلع من عامه وولي أخوه أحمد ولُقّب بالناصِر ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 46.و الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 236/8.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 222.

(3) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 165.

(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 482.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كانَ على الناس أن يستقبلوا كلّ نائب جديد بأبهى حُلّــة ، وأن يزينــوا الأســواق والشوارع ترحيباً بقدومه ، وكانوا يجدون المتعة في ذلك بادئ الأمر ، لكن بعد أن كَثُر عليهم تغيير النواب اشتدَّ عليهم الأمر وثقل ، فصور ذلك ابن الوردي تصويراً ساخراً [1] بقوله : [2]

كــمْ ملــكٍ جــاءَ وكــمْ نائــبٍ يــا زينــة الأســواق حتــى متــى
قــد كــرروا الزينــة حتــى اللحــى مــا بقيــتْ تلحــقُ أنْ تنبتــا

وفي البيتين السابقين بيان لكثرة تغيير النواب ، ومبالغة في الأمر ، إذ يقول الــشاعر ساخراً أن اللحى لم تعد تحلق حين يأتي نائب جديد لأنها لا تكون قد نبتت بعد ، وكأن تغييــر النواب كل يوم .

ويأتي ابن الوردي على ذكر أسباب العزل والتَّغيير في قوله : [3]

ســاكني مــصرَ أيــنَ ذاكَ التــأنّي والتــأبّي ومــالكمْ عنــهُ عــذرُ
يخــسرُ الــشخصُ مالَــهُ ويقاســي تعــبَ الــدهر والولايــةَ شــهرُ

يبين الشاعر في الأبيات السابقة أسباب عزل النواب وتغييرهم المتمثل في الرشــوة ، فمن يدفع أكثر يكسب المنصب ، ويسخر الشاعر من هؤلاء الذين يقاسون ويخسرون أمــوالهم وتعب سنينهم لينالوا الولاية ثم يخسرونها بعد شهر لأن راشٍ آخر يدفع أكثــر مــنهم وهكــذا دواليك.

ومثلما بُلي الناس في العصر المملوكي بملوك وأمراء يطغون ويظلمون ويفــسدون ، فقد بُلي الملوك والأمراء بشعراء ينتقدونهم ويسخرون منهم ، فقد تعرّض لنقدهم أكثر من واحدٍ من الشعراء[4] كالبوصيري وابن الوردي وابن دانيال وغيرهم ، وكانت هذه السخرية ســلاحاً

---

(1) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 165.
(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 485.
(3) نفسه ، 491.
(4) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 214/7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في محاربة الظلم والفساد ومقاومة الجور والطغيان ، أو على الأقل ، كانت تلفت الحكام إلـــى مثلِ هذه الأوضاع . [1]

ومن ذلك ما قاله ابن دانيال في أحد الأمراء الموكلين بجمع المال ، مُبيّناً مدى تعاليـــه وطمعه ، يقول فيه : [2]

ذا يُنـادي قـالَ الأميرُ أطلبوا الدَّيـ ـــوانَ واســتَعجِلوا مَــعَ الكيّــالِ
فئُــوافي إليــهِ وَهْـوَ مِـنَ العَجْــ ـــبِ بـأنفٍ علـى الـوزارةِ عـالي
فينـــادي حُجّابُـــه أقبـــضوا لا تَقْبضوا دونَ قبضِ رسمِ الـوالي
وأحــذروا أنْ تُنَظّفـوا غلّــةً قــط بلــوحٍ فـــي الــرِّيح أو كِربـــالِ
فأئُـــادي إنْ كـــانَ لا بُـــدَّ مـــن ذا فاقبـــضوها بطـــارةِ الزبّـــال

وفي هذه الأبيات يرسم لنا الشاعر صورة هذا الأمير الذي كان كلّ همَّه أن يطاع ولو كان أمرّه خاطئاً .

فهو لا يقبل إلا أن تُنَفّذ أوامره مهما كانت ، وفي ذلك يسخر ابن داينال من أمر الأمير القاضي بجمع الأموال مهما كانت طريقة الجمع بقوله : إن كان لا بد من ذلك فلتجمع بطـــارة الزّبالِ ، مستخدماً هذا التعبير السَّاخر لخدمة غرضه .

(1) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 245.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 197.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما سخر الشعراء من مجون السلاطين ولهوهم ، ومن ذلك قول أحد الشعراء في السلطان حسن [1] والسخرية من حبّه للنساء وشغفه بهن حيث يقول : [2]

لمّا أتى للعاديات وزُلْزلت ... حَفِظ النساء وما قرَا للواقِعهْ
فلأجلِ ذاك المَلكُ أضحى لم يكن ... وأتى القتال وفُصِّلت بالقارعهْ
لو عامَل الرّحمن فازَ بكهفِه ... وبنصْره في عَصْره في السّابعهْ
من كانتِ القينات من أحزابه ... عطعط به الدّخان نارٌ لامِعَه
تبّت يدا من لا يخافُ من الدّعا ... في الليلِ إذ يغشى يَقع في النّازعهْ

لقد تفنَّن هذا الشاعر في السخرية من السّلطان ، مستعيناً بالسور القرآنية وأسمائها ليعبّر عن سخريته .

ففي البيت الأول يذكر حفظ السلطان لسورة النساء ونسيانه لسورة الواقعة ، مُبَيّناً من خلال هذه التورية بأسماء السور شغف السّلطان بالنساء وحبّه لهنَّ ونسانيه لآخرته .

كذلك نرى السخرية واضحة في البيت الرابع حيث يجعل الشاعر من قينات السلطات أحزاباً له .

وفي البيت الأخير يدعو الشاعر على هذا السلطان الذي لا يخشى عاقبة أمره .

وقد ذاق الناسُ من الأمراء كثيراً من النَّصب والظلم ، خصوصاً هؤلاء الذين يتظاهرون بالتقوى والصلاح مُتسترين بهذه الطريقة عن جرائمهم ، يقول ابن الوردي في ذلك: [3]

قدْ عَجَبْنا لأميرِ ... ظلمَ الناسَ وسبَّحْ
فهْوَ كالجزَّار فيهم ... يذكرُ اللهَ ويذبحْ

---

(1) هو الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، ولي الملك سنة 748هـ ثم خلع في سنة 752هـ ثم عاد سنة 755هـ ، وظل سبع سنين وخمسة أشهر إلى أن قُتِل ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 47.

(2) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 316/10.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 353.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشاعر يُجسّد المأساة التي كانت تعيشها العامة مع هؤلاء المماليك والناشئة عن المفارقة بين أهدافهم وهي أهداف شرعية ، وبين وسائلهم لتحقيقها وهي وسائل لا يُقرّها الشرع.[1]

وانتقد الشعراء كذلك الأوامر السُّلطانية الشديدة ، التي تلزم الناس بما لم يعهدوه ومن ذلك ما حدث سنة 667هـ حيث " أمر الظاهر بيبرس [2] بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطىء بالديار المصريّة ، وكتب بذلك إلى جميع بلاده ، وأمسك كاتباً يُقال له ابن الكازاروني وهو سكران ، فصلبه وفي عنقه جرّة خمر " [3] فسخر ابن دانيال من ذلك قائلاً:[4]

لقد كانَ حَدُّ السكر من قبل صَلْبه خفيفَ الأذى إذا كانَ في شَرْعنا جلدا
فلمّا بَدا المصلوبُ قُلتُ لصاحبي ألا ثُبْ فإنَّ الحدَّ قد جاوز الحدّا

" وهكذا يُسَجّل ابن دانيال واقعة التحريم وواقعة العقوبة ، بأسلوبه الفكه ، الذي لم يخلُ من النكتة ومن النقد ، إذ ذكر أنّ العقوبة قد جاوزت الحدَّ الذي رسمه الشرع".[5]

ومن هذا القبيل أيضاً بيتاه الآتيان : [6]

لَقَدْ مَنَعَ الإمامُ الخمرَ فينا وَصَيّرَ حدَّها حدَّ اليماني
فما جَسَرَتْ ملوكُ الجنّ خوفاً لأجلِ الخمر تَدخُلُ في القناني

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 127.

(2) تولى الملك الظاهر بيبرس الملك سنة 658هـ ، واستمر في الحكم إلى أن توفي سنة 675هـ ، حيث انتقل الحكم بعده إلى ابنه السعيد ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 43.

(3) الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 564/7.

(4) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 105.
و حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 150.

(5) سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 327/7.

(6) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَرّة أُخرى ، يسخر من هذه العقوبة ، متفكّها بأن ملوك الجنّ خافت من هذه العقوبة وخوف خسارة الخمر وضياعه عليها ما لبثت أن دخلت في القناني .

ويقول الوراق في هذه الحادثة : [1]

شؤمُ أمّ الخبائث الخمر شومٌ جاوزَ الحدَّ فاستمع ما يُعَدُّ
فلَها في الدِّنانِ حَبْسٌ وللرا ووق صَلبٌ وللمعاقر جَلْدُ[2]

ويتفكّه الشاعر ناصر الدين بن النقيب في هذه المناسبة بسخريته من إبليس حيث يقول:[3]

مَنَع الظّاهِر الحشيش مع الخمر فوَلّى إبليسُ من مصر يسعى
قال : مالي وللمقامَ بأرضٍ لم أمتّع فيها بماءٍ ومَرعى

يسخر موريا بقوله : " الماء والمرعى " يقصد الخمر والحشيش ، حيث منعهما الظاهر في مصر مما أدى إلى رحيل إبليس منها خائباً حزيناً .

وللمعنى نفسه يشير القاضي ناصر الدين بن المنير بقوله : [4]

ليسَ لإبليسَ عندنا طمَعٌ غيرُ بلادٍ الاميرِ مأواهُ
منعته الخمر والحشيش معاً أحرمته ماءَه ومرعاه

---

(1) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 112.

(2) الدّن ما عظم من الرواقيد جمعه دنان ، وأما الراووق فناجود الشراب يصفى به ، أو الشار يتروق منه من غير عصر ، وأما المعاقر فهو المدمن على شرب الخمر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، المواد ، دَنن ، روق ، عقَر .

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 1/245-246.

(4) نفسه ، 246.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسخر شاعر آخر من إبليس بحثّه على ردّ الخمر وتوسيع الحيلة فـــي ردّهـــا ، وإلا نفقت سوق المعاصي وضاع أمر إبليس ، يقول : [1]

الخمـــر يـــا إبلـــيسُ إن لـــم تَقُـــم وتوسِـــع الحيلـــةَ فـــي رَدّهـــا
لا نفقـــت ســـوق المعاصـــي ولا أفلحـــت يـــا إبلـــيسُ بَعْـــدها

وفي النهاية ينعى ابن دانيال موت إبليس ، وينعاه حدسه ، ساخراً متحسراً على خلـــو مجالس الأنس منه ، يقول : [2]

مـــاتَ يـــا قـــومُ شـــيخنا إبلـــيسُ وَخَـــلا منـــهُ رَبعُـــه المـــأنوسُ
وَنَعـــاني حَدســـي بـــهِ إذْ تُـــوُفّي وَلَعَمـــري مماتُـــهُ مَحـــدوسُ

ومن هنا نرى كيف استقى الشعراء من هذا الأمر للسلطان الظاهر – القاضـــي بمنـــع الخمر وغيرها من المفاسد – مادةً للسخرية حَوّروها كيفما شاؤوا وانقلبوا فيها منقلبـــاتٍ عـــدة حتى ضربوا بعصى الهجاء والسّخرية إبليس شيخ المعاصي .

ويسخر الجزار من أمر الملك المعز أيبك [3] الذي جاءَ فيه منع أي امرأة الخروج بلا سراويل ، فقال الشاعر: [4]

حَنّـا الملـك المعـز علـى الرّعايـا وألـــزمهم قـــوانينَ المـــروّة
وصـــان حـــريمهم مـــن كـــل عـــارٍ وألبـــسهم ســـراويل الفتـــوّة

---

(1) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 258.

(2) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 151.

(3) هو الملك المعز عز الدين أيبك الحاشنكير التركماني الصالحي ، وهو أول ملوك الترك ، ولي الملك سنة 652هـ ، وقد كان مستبداً بملكه ، ينظر ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 44. و المقزيزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، 463/1.

(4) المقزيزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، 487/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السُّؤال ، هل صان الملك الحريم من العار وصان كرامة رجـــالهم بـــإلزامهم قـــوانين المروّة ؟ هل كان الرّعايا بلا مروّة حقاً ؟ كلا . إنها السّخرية من هذا الأمر ومن هـــذا الملـــك الذي ظنَّ أنه بهذا الأمر سيحمي النساء ويصونهن ويصون بذلك ماء وجوه الرعايـــا ويحفـــظ كرامتهم .

أما البوصيري ، فقد أصابَ حاكماً بالسخرية حين أَمَر هذا الحاكم بحلق نصف لحيـــة كل من خرج عن طاعته [1] يقول في ذلك : [2]

وَالّـــذي حَلَـــقَ أنـــصافَ اللّحَـــى كـــانَ فـــي الأحكـــامِ عَـــدْلاً مُنْـــصِفا
حَلَـــقَ النِّـــصْفَ بـــذَنْبٍ حاضِـــرٍ وَعَفـــا بالنـــصفِ عَمَّـــا سَـــلَفَا

يصيب سهم السُّخرية الذي ألقاه الشاعِر صميم حُكم هذا الحـــاكم الـــذي أمـــر بحلـــق أنصاف اللحى ، حيث يخرج الشاعِر بتبريرٍ مضحك ساخِر لهذا الأمر بإعتبار أن حلق نصف اللحية كان جزاء ما ارتكبه المحكوم عليهم بالإثم ، وترك النصف الآخر كـــان علـــى ســـبيل العفو عما سلف من أعمالهم.

كُلّ ما سبق ، من ظلم المماليك وتعاليهم على الشّعب ، جعل بعض الشعراء يجـــأرون إلى الله تعالى بالدعاء والشكوى طالبين منه الانتقام من هؤلاء الملـــوك والأمـــراء الظـــالمين المُتعسّفين ، قانتين في صلواتهم عسى الله يُخلصهم منهم [3] ومن ذلك قول ابن الوردي في

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 252.
(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 158.
(3) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمير لؤلؤ القشندي [1] الظالم ، حيث يقول : [2]

قلبـــي لعمـــرُ اللهِ معلـــولُ بمـا جـرى للنـاسِ مـعْ لولـو
يـا ربُّ قـدْ شـرَّدَ عنَّـا الكـرى سـيفٌ علـى العـالمِ مـسلولُ
ومـا لهـذا الـسيفِ مِـنْ مغمـدٍ سـواكَ يـا مَـنْ لطفُـهُ الـسولُ

كلمات مرَيرة تخرج من قلب الشاعر ينفثها غاضباً مُبيناً مدى ظلم هذا الأميـر الـذي كان كالسيف الذي سُلّط على الناس ظُلماً وفساداً وليس لهذا السيف من مغمدٍ سـوى الله الـذي توجّه له الشاعر بالدعاء طالباً منه الرّحمة والخلاص من هذا الأمير .

واستجابَ الله سبحانه وتعالى لدعاء ابن الوردي ، ولدعاء الناس فَقبضَ على لؤلـؤ [3] وجُلِد بالسّياط حتى مات ، فارتاح الناس منه ومن ظلمه فقال ابن الوردي شامتاً ساخراً :[4]

ألؤلـؤُ قـدْ ظلمْـتَ النـاسَ لكـنْ بقـدْرِ طلوعِـكَ اتفـقَ النـزولُ
كبـرْتَ فكنـتَ فـي تـاجٍ فلمَّـا صـغرْتَ سُـحقْتَ سـنَةَ كـلِّ لولـو

اسمُ الأمير ، كان الطريق إلى هجائه والسخرية منه ، حيث بَنى الشاعر موازنةً بـين الاسم لؤلؤ واللؤلؤ المعروف ، فشبه لؤلؤ الأمير حين علا منصبه وعظم باللؤلؤ الذي يُرصّـع التاج فيوضع على الرؤوس ، فإذا ما صَغُر سُحق تحت الأقدام وهذا ما حَصَل لهـذا الأميـر الذي ضاعت مكانته وانحطَّ قدره فصار تحت الأقدام ، وهذه سنة الحياة في المفارقة بين العِظم

---

(1) هو بدر الدين لؤلؤ القشندي ، صار أميراً على حلب فظلم ، مما جعل الناس يدعون عليه في صلواتهم ، ينظر : ابن الوردي ، **تتمة المختصر في أخبار البشر** ، 428/2 و 464.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 498.

(3) في عام 472هـ ، أي بعد عزل لؤلؤ القشندي ونفيه بعامين ، قُبض عليه وعوقب بدار العدل بحلب حتى مات ، فشمت به الناس ، ينظر : ابن الوردي ، **تتمة المختصر في أخبار البشر** ، 428/2-464.

(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 354.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المهانة ، ويشمت الشاعِر من أمير آخر بقوله : [1]

مريـــــدُ القـــــضا بـــــالقرى لـــــهُ حلـــــبٌ قاعـــــدَهْ[2]
فيطلـــــعُ فـــــي ألفِـــــه وينـــــزلُ فـــــي واحـــــدِهْ

يشير الشاعر هنا إلى علو مكانة بعض الناس وارتقائهم المناصب الهامة مـن خـلال الرشوة التي لا تقيهم زوال هذه المكانة ولا تصون وجوههم من المذلة بعـد الرّفعـة . فهـذا المهجو قد طلع في ألف دينار رشوة ولكنه سقط فجأة.

ويسخر الوداعي من الملك غازان [3] حيث يقول فيه عندما مات : [4]

قـد مـاتَ غـازان بـلا مِريَـة ولـم يَمُـت فـي المـدد الماضِـية
وكانـت الأخبـار ومـا أفـصحت عنـه فكانـت هـذي القاضـية

يظهر من الأبيات السابقة أن أخباراً وشائعات دارت حول موت غازان أكثر من مَـرّة وتبيّن كذبها ، فيشمت الشاعر حين تأكد من موت الملك وكأنه يقول أخيراً هذي القاضية.

أما إبراهيم المعمار فيسخر من الأمير الظالم قوصون[5] الذي صُلب حيث يقول : [6]

شَـــخصُ قوصـــون رأينـــا فـــي العلاليـــق مُـــسَمّر
فعجبنـــا منـــه لمّـــا جـــاءَ فـــي التَّـــسمير سُـــكَّر[7]

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 336.

(2) المريد : الخبيث ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة مَرَد .

(3) هو غازان محمود بن أرغون اسمه محمود ، ويقوله الناس قازان ، كان جلوسه على الملك سنة 693هـ ينظر : العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 212/3.

(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 214/3.

(5) هو قوصون السامي الناصري ، كان نائباً للسلطنة في أيام المنصور واستمر في هذا المنصب أيام الاشرف كجك ، وقد استبد بتدبير السلطنة ، قتل في محبسه بالأسكندرية سنة 742هـ ، ينظر : العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 258/3.

(6) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 14.

(7) التّسمير: أسلوب من أساليب القتل ، فيه يحكم المصلوب عليه بالإعدام ، فتدق أطرافه بالمسامير على خشب مصلّب ، ويبقى مسمّراً حتى يموت ، يوسف ، خالد إبراهيم ، **الشعر العربي أيام المماليك** ، 542

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وهو يشير هُنا إلى ما فعله العامة والحرفيون وصانعو الحلوى خاصةً ، الذين جعلوا تماثيل على هيئة قوصون من السُكر وعلّقوها على أبوابِ محلاتهم ، تشفياً منه وفرحاً بموته" [1].

كل ذلك من ظُلم المماليك كما قلنا – جعل الناس يتشفون بموتهم ، مهنئين بعضهم بعضاً إذا ما قتل أحد البغاة أو عُزل ، ومن ذلك قول ابن مطروح إثر عزلِ والٍ تبعه نزول المطر ، فسخر من ذلك مستغلاً الترابط بين الأمرين بقوله : [2]

ورُبَّ والٍ سَرّنا عَزلُه ... فبعضنا هَنّأه البعضُ
قد واصلتنا السحب من بعدهِ ... ولدٌ في أجفاننا الغمضُ
لو لم يكن من نَجَسٍ شخصه ... ما طُهّرت من بعده الأرضُ

انظر إلى براعة هذا الشاعر في استغلاله لهذه الظاهرة الطبيعية وإبداعه في الربط بينها وبين تطهير الأرض من هذا الوالي الظالم .

ولكن في بعضِ الأحيان تجري الرّياح بما لا تشتهي السُفن ، و من ذلك أن يُسَرّ الناس بزوالِ دولةٍ ولكن سرعان ما يُبتلوا بأنحسن منها ، وهذا ما جاء على ذكره البهاء زهير ، بقوله : [3]

دَولَةٌ كَم قد سَألنا ... رَبَّنا التَعويضَ عَنها
وَفَرِحنا حينَ زالَت ... جاءَنا أنحَسُ مِنها

(1) محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 126..
(2) المقّري : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، 5/88-89.
(3) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 377.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : السُّخرية من موظفي الدولة :

لمّا كانَ هناك من السلاطين والملوك في العصر المملوكي من هم فاسدون وظالمون ، فمن الطبيعي أن يسري السوء إلى بقية موظفي الدولة ، وينتشر بينهم ، ويصبح وجودهم لا يُحقق غايته [1] كيف لا ... والسلطان منصرفٌ عن متابعة عمله وتفتيشه ومراجعته ، والقيّم على أعماله هو المستخدم الذي أصبح بمثابة الرئيس الفعلي في تأدية أمور الحكم ، والمتصرف الأول فيما يعرض على رئيسه ، الأمر الذي أدى إلى الاضطراب والفساد . [2]

" وطبيعي أن يتفشّى هذا الشّره ، وتسري عداوة من الكبير إلى الصّغير ، فيصبح كلّ من ولي أمراً من أمور الناس وقد أعْمَل يده في السلب والنهب مُستغلاً منصبه ، محتمياً به ، لا يردعه خلق ، ولا ترفعه همّة " . [3]

بناءً على ما تقدم ، من المؤكد أن القيم ستنهار ، والأخلاق والدّين سيختفيان ليحلّ محلّهما الاستبداد والظلم وأكل الأخِ لحمَ أخيه بلا رادعٍ أو مانع ، يقول ابن دقيق العيد في هؤلاء الناس : [4]

فإن تخالط منهمُ مَعْشراً ... هَوَيتَ في الدّين على الرّاس
يأكُلُ بعضهم لحمَ بعضٍ و لا ... يَحْسِبُ في الغيبة من باس
لا ورعٌ في الدين يحميهمُ ... عنها و لا حِشْمَةٌ جُلاَّس
لا يعدم الآتي إلى بابهمْ ... من ذلة الكلب سوى الخاس

صورة قاتمة مريرة لهؤلاء الناس ، يَخطّها ابن دقيق العيد ساخراً من قلّة ورعهم وانعدام أخلاقهم مفضلاً البعد عنهم لأن من يُخالط معشراً منهم يهوِ في دينه على الرأسِ .

---

(1) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ،
(2) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 245/7.
(3) أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 135.
(4) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 204/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعلَّ أكثر الشعراء انتقاداً لموظفي الدولة ومستخدميها هو البوصيري ، الـذي نظـم قصيدة فَضَح فها موظفي الدواوين وغيرهم ، ومنها قوله : [1]

أمَولاَنـا الـوزيرَ غفْلَـتَ عَمَّـا يَهُـمُّ مِـنَ الكِـلابِ الخَائِنِينـا

يصيب البوصيري بسهم هجائه وسخريته أمرين : الأول غفلة الوزير عن موظفيـه ، والثاني لؤم الكاتبين وأفعالهم ، فالشاعرِ هُنا ينتقد سكوت الوزير عن هؤلاء اللئـام الكـاتبين ، ويسخر من غفلته وعدم ضربه على أيديهم [2] ومن انتقاده لموظفي الدولة قوله : [3]

تَكِلْـتُ طوائِـفَ المُـسْتَخْدَمِينا فَلَـمْ أرَ فِـيهِمُ رَجُـلاً أمِينـا
فَخُـذْ أخْبَـارَهُمْ مَنِّـي شِـفاهاً وَأنْظِرْنـي لأُخْبِـرُكَ اليَقِينـا[4]
فَقَـدْ عَاشَـرْتُهُمْ وَلَبِثْـتُ فِـيهِمْ مَـعَ التَّجْرِيـبِ مِـنْ عُمْـري سِـنينا

عَمَلُ البوصيري في الدواوين ، ومعاشرته للمستخدمين سنيناً طويله ، جعلته يحفظهـم عن ظهر قلب ، لذلك فهو خيرُ من يتحدث عنهم ويخبر أخبارهم ، فيقول بلسان الواثـق أن لا أمين فيهم على الإطلاق لذلك يرى ألا يوثقَ بهم ، ويواصل هجومه علـيهم منتقـداً أفعـالهم ساخراً منها ، مؤكداً على ضرورة نزاهة أتباع المستخدم قبله لتأكيدِ عفتـه ، لأن العفيـف لا يرضى بالثراءِ المشبوه لأتباعه [5] يقول : [6]

فـلا تَقْبَـلْ عَفـافَ المَـرْءِ حَتَّـى تَـرَى أتْباعَـهُ مُتَعَفِّفِينـا

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 251.
(2) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 237/7.
(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 250.
(4) تضمين من بيت عمرو بن كلثوم : أبا هِندٍ فَلا تَعجَل عَلَينا وَأَنظِرنا نُخَبِّرَكَ اليَقينا . ابن كلثوم ، عمرو ، **ديوانه**،82.
(5) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 243.
(6) البوصيري ، **ديوانه** ، 253.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتحدث عن الجباة الذين يحصلون الضرائب ، فينهبون ويسلبون ، فيقول : [1]

أقـامُوا فـي الـبلادِ لهُـمْ جُبـاةً لِقـبضِ مُغَلّهـا كالمُقْطعينـا

فهو يشبههم بقطاع الطرق الذين ينهبون مال غيرهم ، ويسرقون تعبَ الناس ورزقهم.

ثم يحدّثنا عن ردة فعل الناس الذين صاروا يدفعون الرشاوى لهؤلاء الجبـاة حتـى لا يسرقوهم ولكي يبتعدوا عنهم ، فأصاب الطمع قلوب الجباة فَرابعوا الناس أو ناصفوهم رواتبهم ومعاشتهم ،حتى أنهم كادوا يأخذونها كلها دون ترك شيء لأصحابها [2] فيسخر من هذا الأمر سخرية مُرّة بقوله : [3]

عـذَرْتُهُمْ إذا بـاعُوا حَـوالا تِهـمْ بـالرُّبْعِ لِلْمُـسْتَخْدِمِينا
وَأعْطَـوْهُمْ بهـا عِوَضـاً فكـانُوا لِنِـصْفِ الرُّبْـعِ فيـهِ خاسِـرينا

فهو يعرض لنا خسارة العامة على أيدي الجباة الطاغين ، ويلتفـت البوصـيري إلـى الجسم القضائي فيراه غارقاً في الضّلال ، يقول في ذلك : [4]

تَحَيَّلْـتِ القُـضاةُ فخـانَ كُـلٌّ أمانَتَـهُ وَسَـمَّوْهُ الأمِينـا
وكَـمْ جَعَـلَ الفَقِيـهُ العَـدْلَ ظُلْمـاً وَصَـيَّرَ بَـاطِلاً حَقّـاً مُبينـا
ومـا أخْـشَى عَلَـى أمْـوَالِ مِـصْرٍ سِـوَى مِـنْ مَعْـشَرٍ يَتَأوَّلُونـا

الخيبة في القضاة هي الأشدُّ إيلاماً على الإطلاق ، فمن المفترض أن يكونوا اليد التـي تكفّ المظالم عن الناس والتي تقيم العدل ، فإذا ظلموا ، فالمصيبة فيهم مُضاعفة [5] لذلك لـم يتهاون البوصيري في فَضْحِ حقيقتهم وتمزيق ستار الورع والتقوى المزيف الذي يحتمون به ، ولم يتورع في السخرية منهم ومن التناقض في شخصيتهم حيث يخفون عكس ما يظهـرون ،

---

(1) نفسه ، 251.

(2) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 243.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 251.

(4) نفسه ، 252.

(5) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 128.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهم في جوهرهم أسوأ ما يكون ، خوَنَةٌ ظالمون مُبدّلين للحقائق ، ولذلك أعظم مخاوف الشاعِر هي منهم ، وبرأيه الخشية كل الخشية على أموال مِصر من هؤلاء الكذبة الذين ينافقون ويتأوّلون .

وفي قصيدة أخرى له يسخر من الفوضى في الدواوين ، حيث الجميع قد غيّروا القوانين ، يقول : [1]

انْظُرْ بحَقِّكَ في أمْرِ الدَّواوينِ فالكلُّ قد غيَّرُوا وضْعَ القوانينِ
لَمْ يَبْقَ شَيءٌ عَلَى ما كُنْتَ تَعْهَدُهُ إلاَّ تَغَيُّرَ مِنْ عالٍ إلَى دُونِ
الكاتِبُونَ وَلَيْسُوا بالكِرامِ فما منهمْ على المالِ إنْسانٌ بمَأْمُونِ

ويحثُّ في القصيدة نفسها السلطان على عدم إئتمان هؤلاء المستخدمين السّارقين بقوله: [2]

لاَ تَأمَنَنَّ عَلَى الأمْوَالِ سَارِقها ولا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللهِ والدِّينِ

في كثيرٍ من الأحيان يكون " حاميها حراميها " [3] لذلك يجب الحرص من هؤلاء الذين يفترض بهم الحماية والحراسة فيسرقون ما يحرسون .

وقد سخر البوصيري من المحتسب الذي يتولى أمر كتابة الحساب عند الباعة مستعيذياً بالله من أن يكون مثله بقوله: [4]

أعُوذُ باللَّهِ أنْ أكُونَ كَمَنْ تَغْلِبُهُ في الرَّقاعَةِ الرَّعْبَهْ
يمشي بها والصِّغارُ تُنْشِدُهُ: أميرُنا زارَنا بلا ركْبَهْ
وَما يزالُ الغُلامُ يَتْبَعُهُ بدرَّةٍ مِثْلَ رَأسِهِ صُلْبَهْ
وَهْوَ يقولُ : افسَحوا لِمُحْتَسِبٍ قد جاءكم مِنْ دِمَشْقَ في عُلْبَهْ

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 259.
(2) نفسه ، 261.
(3) حجازي ، أحمد توفيق ، **موسوعة الأمثال الفلسطينية** ، 151.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو يصور لنا دخول المحتسب السوق ساخراً من هيئته ودخوله واحتشاد الصغار حوله منشدين زيارته بلا ركبه وتتبع بعضهم له وإفساحه المجال له ، كل ذلك بأسلوب ساخرٍ كله تهكم .

ويكمل الشاعر موضحاً رأيه بهذا المحتسب بقوله : [1]

قلتُ لهم : عندَ صاحبي حُمقٌ ... في كُلِّ حينٍ يُلْقِيهِ في نَكْبَهْ
حَصَّلَ مالاً جَمَّاً وعَدَّدَه ... مِنْ أصْلِ مَالِ الزَّكاةِ والوهْبَهْ[2]

فهو يسخر من هذا المحتسب الذي يسرق الأموال تحت اسم الزكاة والهبات ، فيجمعها ويحصل مالاً وفيراً أصله مال حرام وسرقة .

وسخر ابن الوردي من محتسبٍ مثلما سخر سابقه مُبيّناً استغلاله للباعة وسرقاته بقوله:[3]

تولى الناسَ محتسبٌ غليظٌ ... فقامتْ للغلا في السوق سوقُ
ولو عزلوه جاءَ الرخصُ يسعى ... إذا عُزل الغليظُ أتى الدقيقُ

يتهم الشاعر المحتسب في البيتين السابقين برفعِ السلعة أو المساعدة على رفع الأسعار بوسيلةٍ ما [4] للكسب من وراء ذلك ، فيدعو إلى عزله بأسلوبٍ فكه ساخر .

ويتحدث ابن الوردي عن الرشوة فيخاطب من وصل إلى منصبه بالرشوة قائلاً : [5]

نحنُ قومٌ ما ولينا ... بالرِّشا مثلَ فعالكْ
بل بعلمٍ واجتهادٍ ... ومَا أشبهَ ذلكْ

---

(1) نفسه ، 55-56.

(2) أخذ البوصيري هذا المعنى من قوله تعالى : "ÏM$ ... ¼çŠEãr ZV$B ìHd " سورة الهمزة ، آية 2.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 277.

(4) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 167.

(5) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 278.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر أنّ الرشوة تحوّلت إلى أتاوةٍ دورية لضمان استمرارية الإنسان في عمله ، فمن يبذل أكثر يكون أحق بالولاية ، هذه هي المعادلة ، فقال ابن الوردي في شخصٍ لم يقبل إعطاء الرشوة ، فكان مصيره العزل ، رابطاً الأمر بعلم النحو ربطاً طريفاً [1] بقوله : [2]

عزلـــوكَ لمَّـــا قلـــتَ مـــا أعطـــي وولَّـــوا مَـــنْ بَـــذَلْ
أوَ مـــا علمـــتَ بـــأنَّ "مـــا" حـــرفٌ يكـــفُّ عـــنِ العمـــلْ

أما ابن النقيب فيوجه سخريته نحو الوزير نفسه ، و يطلق هذه السخرية سافرةً بـــدون خوف أو حذر ، بقوله : [3]

أبلـــم قلّـــدوه أمـــر الرّعايـــا وهـــو فـــي حيلـــة الـــوزارة عُطـــل
فهـو بـالبوق فـي الـوزارةِ طبـلٌ وهو في الدّست حين يجلس سَطْل

ويقول في ناظرٍ : [4]

قـالوا : فـلانٌ نـاظِرٌ فأجبـتُ مـا نـــاظرٌ إلا إلـــى أعطافـــه
لم يدرِ مسح الأرض قلت أزيدكم أخـرى ولا مـسحاً علـى أطرافـه

هنا يسخر الشاعر من رقلّة دين الناظر المتمثلة بعدم معرفته طريقة الوضوء واهتمامه بمظهره الخارجي .

---

(1) ينظر : نفسه ، 167.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 149.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 327/1.

(4) نفسه ، 326/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامِس

السُّخرية لأسباب دينية في الشعر

تمهيد .

أولاً : السُّخرية من سلوكيات المتصوفة .

ثانياً : السُّخرية من التطاول على الشريعة .

ثالثاً : السُّخرية من أهل الذمة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جعل الشعراء من السُّخرية مِهاداً وطريقاً سلكوه للإفصاح عن مكنوناتهم ، وللتنفيس عما يدور ويجول في خواطرهم ، وهم بعينهم الناقدةِ ولِسانهم السّليق وقلوبهم المتوقدة وأذهانهم المنفتحة كانوا أقدر الناسِ على كشفِ العيوب وفضح المفاسِد والرذائل .

وفي مجال البيئة الدّينية في العصر المملوكي ، كان هُناك الكثير مما يُقال ، فأطلق الشعراء العنان لألسنتهم في فضح ما وراء السّتار الديني وإجلائه أمام ناظر الناسِ أجمعين .

ومن المذاهب التي سخر منها الشعراء سنتحدّث عن المتصوفة .

ومن الفئات سنلقي الضوء على السّخرية على من تطاول على الشريعة الإسلامية السّمحة .

ومن الطوائف سنتحدث عن سخرية الشعراء من أهل الذّمة ، والمستخدمين من الأقباط.

وفيما يلي بيانٌ لذلك :

أولاً : السُّخرية من المتصوفة :

ازدهرت حركة التصوف في الدول المملوكية ، والحقيقة أن المماليك قد روّجوا لهذا التيار واحتفوا به ، فأسسوا لهم المدارس وأوقفوا عليها الأوقاف ، ولكن ذلك لم يكن في زهادةٍ منهم في شيء ، وإنّما هو صرفٌ للناسِ عن الدنيا ليستأثروا بها وحدهم . [1]

(1) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 164.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تنبّه فريقٌ من الشعراء لما يرمي إليه المماليك فسخروا منهم ، ومن ذلك قول محمد بن أحمد الاسكندراني المعروف بابن الفويه حيث يقول : [1]

أعجامنا قد أصبحت قلوبهم وجداً بحبّ الخانقات خافِقه[2]
لا تعجبوا فكلّ كلبٍ نابح ولا يحبُّ الكلب إلا خانِقه

يسخر الشاعر من اهتمام المماليك الأعاجم بالمتصوفة ووجدهم وحبهم لخانقاتها ، ويزيد من سخريته ببناء تورية في كلمة " خانقه " حين يقول لا يحب الكلب إلا خانقه وفيها يسخر من الطرفين : الأعاجم والمتصوفة .

ومن الشعراء من اتّهم المتصوفة بالكفر والزّندقة ورماهم بالبطالة والفساد والكسل ، ومنهم من رماهم بسهامه فأوسعهم سبّاً وسخريةً [3] وذلك ما نراه عند فتح الدين ابن سيد الناس الذي رماهم بفاحشِ القول ، وهجاهم شر هجاء بقوله : [4]

ما شروط الصّوفي في عصرنا اليو مَ سوى ستة بغير زيادهْ
وهي ... [5]العلوق والسُّكر والسط لة والرقص والغنا والقيادَهْ

يسرد لنا الشاعر الشروط الواجب توافرها فيمن يلتحق بالمتصوفة أو يكون منهم ، وهي صفات موغلة في الفحش ، كل صفةٍ أنكى من الأخرى .

ويكمل قوله : [6]

وإذا ما اهتدى وأبدى اتحاداً وجميلاً من خلوةٍ وأعادهْ
وأتى المنكرات عقلاً وشرعاً فهو شيخُ الشيوخ ذو السّجادهْ

---

(1) الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، 154/2.
(2) الخانقاه : رباط الصوفية ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة خَنَق.
(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 15.
(4) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 291/3.
(5) يصعب ذكر الكلمة لشدة فحشها .
(6) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 291/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى محمود رزق سليم أن الشاعِر جعل المتصوفة في هذين البيتين أنكى من اقترف الخطايا والمنكرات ، حيث يبذلون الحيلة في تسويغها عقلاً ونقلاً ، ويعتبر أن هذه هي الهــوة الأظلم التي قد يطيح بها المرء بنفسه ، ولكن هكذا كان وما زال يدين بعض مُدعي المتــصوفة وزاعميها . [1]

وقد اشتد المعمار في مهاجمة المتصوفة الذين كــان مــن المفتــرض بهــم اســتقبال المحتاجين في خانقاتهم ، ولكن بعضهم لم يفعل ذلك ، فكانوا يــأوون مــن يــروق لهــم [2] فيقول:[3]

قــد صَــار فــي الخانقــاه عُــرفٌ مــن فعلهــم وهــو شَــرٌّ عــادهْ
لا يـــدفعون النـــصيب فيهـــا إلا لمـــن تـــرك الـــشّهادهْ

ويتحدث عمن يدَّعون العبادة والزهادة بقوله : [4]

فـــلانٌ والجماعـــة عـــارفوه وإن أبـــدى العبـــادة والزّهـــادهْ
يمــوت علــى الــشهادةِ وهــو حــيٌّ إلهــي لا تُمتــه علــى الــشَّهادهْ

وفي مثل هذا القول يصفهم البهاء زهير بقوله : [1]

كَــم أنــاسٍ أظهَــروا الزُهــدَ لَنــا فتَجــافوا عَــن حَــلالٍ وَحَــرام
قلَّلــوا الأكــلَ وَأبــدَوا وَرَعــاً وَاِجتِهــاداً فــي صِــيامٍ وَقِيــام
ثُــمَّ لَمّــا أمكَنَــتهُم فُرصَــة أكَلــوا أكــل الحزانــى فــي الظَــلام

هنا يفضح البهاء زهير حقيقة هذه الفئة من الزهاد المتصوفة فيبــين أنَّ علينــا أن لا نغتر بظاهر أعمالهم من الاجتهاد في الصيام والقيام لأنهم ما أن يختفوا عن أنظار العامة فإنهم يأكلون أكل الحزانى في الظلام ، أي يأكلون بشراهة .

([1]) ينظر : **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 257/7.
([2]) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 134.
([3]) ابن المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 10.
([4]) نفسه ، ق 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولربما كان الورع وإظهار التقوى يومئذٍ وسيلةً يتّخذها البعض ستراً لبلـوغِ أهـدافهم وللوصول إلى آمالهم في الحياة . [2]

ويصف الشاعر ابن تيمية المتصوفين بأهل الكسل فيقول ساخراً على لسانهم : [3]

والله مـــا فقرنـــا اختيـــار وإنّمـــا فقرنـــا اضـــطرار
جماعـــة كلّنـــا كُـــسالى وأكْلنـــا مالـــه عيـــار
تـــسمع منـــا إذا اجتمعنـــا حقيقـــةً كلهـــا فـــشار

يعزي الشاعر فقر المتصوفة إلى كسلهم وكثرة أكلهم ، ويشير إلى ما هم عليـه مـن كذب وادعاء في قوله إن كلامهم كله فشار ، يسوق كل ذلك على لـسانهم بأسـلوبٍ هزلـي ساخر.

ويتهكم بهم جوبان القوّاس ، ويورد بعض تعابيرهم الخاصة بهـم والتـي لا يفهمهـا العامة ، مُنتهياً إلى أنهم أنفسهم لا يفهمون ما يقولون [4] يقول في ذلك : [5]

مُـتُّ فـي عـشقي ومعـشوقي أنـا ففـؤادي مـن فراقـي فـي عَنَـا
غبـتُ عنـي فمتـى أجمعنـي أنـا مـن وجـدي منـي فـي فنَـا
أيّهـا الـسّامع تـدري مـا الـذي قلـت : والله ولا أدري أنـا

تتشابك الألفاظ ، وتمتزج الصّور ، ويتوحد القائل والمخاطب ليصبحا شخصاً واحـداً يُجري حواراً مع نفسه عن نفسه ، ينطق بالنهاية معترفاً بعدم درايته وفهمه لما يقول ، فكيـف من يسمعه ؟!

---

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 238.
(2) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 283.
(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 80/1.
(4) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 134.
(5) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 305/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما ابن دانيال فيسخر من المتصوفة بأسلوبه ، حيث يعاتب صديقاً له تصوّف ويطالبه بالعدول عن هذا الأمر ومن ذلك قوله : [1]

لا تَقُلْ قَدْ لبستُ صوفاً فإنَّ ... الكبشَ حلبابُهُ مَعَ القرن صوفُ
يُطربُ الضأنَ وَهْوَ مثْلُكَ في الأل ... حان أسماعُ قومه والخروفُ
طارَ منكَ المقصوصُ في حلقكَ الرأ ... سَ لزُهد وفاتَكَ المنتوفُ

ثم يترجاه العودة بقوله : [2]

أترجّى منكَ الرجوعَ قريباً ... طمعاً فيك والمحبُّ عطوفُ

ويطالبه بالرّجوع إلى قومه الخالعين الماجنينَ بقوله : [3]

قُمْ تَوَكّلْ على الغفور وَوَافِقْ ... قومكَ الخالعينَ يا قِصّيفُ[4]
فلديهم خاءٌ وميمٌ وراءٌ ... أي شيء بالله هذي الحروفُ

وقبل ختام حديثنا عن السخرية التي لحقت بالمتصوفة ، لعلَّ من الإنصاف أن نعكس رأي المتصوفة في الفقهاء وذلك على لسان البوصيري الذي يقول : [1]

قُل لِلَّذينَ تَكلَّفوا زيَّ التُّقى ... وَتَخيَّروا لِلدَّرسِ ألفَ مُجَلَّدِ
لا تَحْسَبُوا كُحْلَ العُيُونِ بحِيلةٍ ... إنَّ المَهَا لَمْ تَكْتَحِلْ بالإثْمِدِ
ما النَّحْلُ ذُلِّلَتِ الهِدَايَةِ سُبْلَها ... مِثْلَ الحَمِيرِ تَقُودُها لِلْمَوْرِدِ

يعرض البوصيري للمفارقة بين المتصوفة وغيرهم ممن يُعَاديهم فالنّحل التي ذلل الله لها سبل الهداية ليست كمثل الحمير التي تُقاد إلى المورد دون أن تعرف طريقها .

ثانياً : السُّخرية من التطاول على الشريعة :

يظهر في كلّ عصرٍ من العصور من يرتدون عن الإسلام أو يستهترون ببعض أحكامه وتعاليمه ، ويجاهرون في ذلك ، وكذلك الحال في العصر المملوكي حيث ظهر مثل

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 86.
(2) نفسه ، 85-86.
(3) نفسه ، 87.
(4) القِصيف من القصف وهو الخلاعة والمجون ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة قَصَف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هؤلاء بكثرة ، ما دفعَ كثير من الشعراء إلى الوقوف في وجوههم وصدّهم ، وفضح توجهاتهم، وقد تناولوا ما كانوا يقومون به بسخرية ومن ذلك ما قيل في ابن البقّي [2] رجل تطاول على الشريعة وأنكرها حتى وصلَ به الأمر إلى الكفر بها[3] فسلَّ ابن دانيال سيف هجائه السّاخر وقال فيه : [4]

لا تَلُم البقيِّ في فِعْلِهِ ... إنْ زاغ تَضليلاً عن الحقِّ
لو هذَّبَ الناموسُ أخلاقهُ ... ما كانَ منسوباً إلى البقِّ

يبني الشاعر صلة بين اسم مهجوّه والحشرات المؤذية المعروفة بالبق ليبين لنا استحالة تهذيب نفس هذا الشخص الذي لا يلومه الشاعِر لزوغانه عن الحق لأنه أساس البق.

ولمّا سجن القاضي المالكي هذا الكافر سخر منه ابن دانيال مرَّة أخرى بقوله : [5]

يَظُن فتى البَقِّيْ أنّهُ ... سَيَخْلَصُ من قبضَةِ المالكي
نَعَمْ سوفَ يُسلمهُ المالكيُّ ... قريباً ولكن إلى مالك

وهناك صنفٌ من الناس من يدّعي معرفة الفلسفة ، ويتعمّق فيها ، فيوصله ادعاؤه إلى إنكار الخالق – سبحانه وتعالى – حيث يعتمدون في فلسفتهم على المعقول لا المنقول [6] فَسفه البهاء زهير ممن يدعي العلم والفلسفة وسخر ممن يكفر بالرحمن بقوله : [7]

وَجاهِلٍ يَدَّعي في العِلمِ فَلسَفَةً ... قد راحَ يَكفُرُ بالرَحمَنِ تَقليدا
وَقالَ : أعرفُ مَعقولاً فقُلتُ لَهُ ... عَنَّيتَ نَفسَكَ مَعقولاً وَمَعقودا

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 97-98.
(2) هو أحمد بن محمد فتح الدين بن البقي الحموي ، أُقام بمصر وكان متستخفاً بالقرآن والشرع فضرب القاضي المالكي عنقه سنة 701هـ ، ينظر : الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 152/1.
(3) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 33.
(4) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 153/1.
(5) نفسه ، والصفحة نفسها .
(6) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 283.
(7) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِن أينَ أنتَ وَهَذا الشَيءَ تَذكُرُهُ أراكَ تَقرَعُ باباً عَنكَ مَسدودا
فَقالَ : إنَّ كَلامي لَستَ تَفهَمَهُ فَقُلتُ لَستُ سُلَيمانَ اِبنَ داوُدا

يصف الشاعر هذا الداعي بالجاهل ، ويحاوره ويناقشه في مسألة الاعتماد على المعقول فيحوّر الشاعِر في الكلمة ليجعل معناها معقوداً وبها يعني هذا الشخص الكافر فهو معتقلٌ رهين أفكاره الزائفة وحبيسها وفي النهاية يجعل الشاعر في عدم فهمه لكلام هذا الداعي من هذا الأخير حيواناً ، وللأسف ، فإن الشاعر ليس سيدنا سليمان وبالتالي لن يفهم كلام الحيوان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : السُّخرية من أهل الذّمة :

ساد جَوّ من التّوتر العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة طوال العصر المملوكي ، ومن العوامل التي ساعدت على خلقِ هذا التوتر الحروب الصليبية ، وما ارتكبه الصليبيون من أهوال ، جعلت مشاعر المسلمين تفيض بالمرارة ، وبالتالي خَلْق ردَّ فعلٍ عنيفٍ تجاه أهل الذّمة في بلادهم . [1]

ومن هنا جاء دور الشعراء الذين هَبّوا بأشعارهم يهجون الأقباط هجاءً لاذعاً ، وخيرُ مثالٍ على هؤلاء الشعراء البوصيري الذي كان شعره صفحةً انطبعت فيها مشاعره ومشاعر المسلمين نحو أهل الذمة [2] ويقول في قصيدةٍ له : [3]

إنَّ النَّصارَى بالمَحَلَّةِ وُدُّهُمْ ... لو كانَ جَامِعُها يكونُ كَنِيسا[4]
أتُرَى النصارَى يَحْكُمُونَ بأنَّه ... مَنْ باشَرَ الأحْباسَ صارَ حَبيسا

حيث يبين الشاعر لولي الأمر وحاكم البلاد خبث النّصارى ، ويدخل إلى سرائر نفوسهم ليبين ماهية تفكيرهم ومدى كرههم للإسلام فهم يتمنون أن تتحول المساجد في المحلة إلى كنائس .

وبعد هذا التّوضيح يرجو الشاعر ولي الأمر بصرفهم وعدم استخدامهم بقوله : [5]

صَرَفَ الإلهُ السُّوءَ عنكَ بصَرفِهِ ... فاصْرِفهُ عَنَّا واصفَعِ القِسِّيسا
أفْدِي بِهِ المُسْتَخْدَمِينَ وإنَّما ... أفْدِي بتَيْسٍ كاليَهودِ ثُيُوسا
لو كنتُ أملِكُ أمرَهُم مِنْ غَيرَتِي ... لَمْ أبْقِ لِلمُستَخدَمِينَ ضُرُوسا

ويفسّر لماذا يريد صرفهم وعدم ابقاءِ أحدٍ من مستخدميهم بقوله : [1]

---

(1) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 209.

(2) ينظر : الفقي ، محمد كامل ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 136.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 152.

(4) الْمَحَلَّة : مدينة مشهورة بالديار المصرية ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، 135/5 .

(5) البوصيري ، **ديوانه** ، 152.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَرْعَـوْنَ أمْـوَالَ الرَّعِيَّـةِ بـالأذى لـو يُحْلَبُـونَ لأشْـبَهُوا الجامُوسـا
اللَّـــهُ أرْسَـــلَهُم عَلَـــى أقـــوَاتِهِم سُوساً وقدْ أمِنُوا عليها السُّوسا

يسخر البوصيري من المستخدمين من أهل الذّمة ويشبههم بالسوس ، وهل يُعقل إئتمان السوس على أقوات الناس ؟!

ولم يكن البوصيري الشاعِر الوحيد الذي ضاق باستخدام أهل الذّمة ، فالعطار يهجـو المستخدمين ويسخر ممن استخدمهم بقوله : [2]

قـالوا : نـرى الأقبـاط قـد رُزقـوا حظّـــاً وأضـــحوا كالـــسلاطين
وغلّلـــوا الأمـــوال قلـــتُ لهـــم رزق الكـــلاب علـــى المجـــانين

ويرسم الأعرج السَّعدي لوحة بيانيةً يبين فيها تقسيمات الأموال فـي مـصر ، وهـي برأيه كما يلي : [3]

وكيف يروم الرزق في مِصر عاقِلٌ ومن دونـه الأتراك بالسيف والتّرس
وقـد جمعتـه القبط مـن كـل وجهـةٍ لأنفهـسم بـالرّبع والـثمن والخمـس
فللتـرك والـسلطان نـصف خراجهـا وللقبطِ نصفٌ والخلائق في السُّدس

يشير الشاعِر إلى طمع الأقباط ، وإلى قلّة حظ الناس في أموال بلادهم وهـم الأحـق بها، لذلك يستغرب العيش في مِصر ويرى أن لا عاقل يروم الرزق فيها لأن حظّه في الرزق سيكون قليلاً .

ويرسم لنا البوصيري مشهداً يصور فيه الأطماع التي تدور حـول الـصراع الـديني حيث يقول : [4]

يَقُـولُ المُـسْلمُونَ : لَنـا حُقـوقُ بهـا ولَـنَحْنُ أوْلَـى الآخِـذِينا
وَقَـــالَ الْقِـــبْطُ إنَّهـــمُ بمِـــصْرَ الْمُلُـوكُ ومَـنْ سـوَاهُمْ غاصِبُونا

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 152-153.
(2) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 207/1.
(3) نفسه ، 1/ 356.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 252.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَحَلَّلــتِ الْيَهُــودُ بِحِفــظِ سَــبْتٍ لَهُــمْ مَــالَ الطَوَائِــفِ أَجْمَعِينــا

ولم يسخر البوصيري من استخدام أهل الذّمة وأطماعهم في مِصر فحسب ، بل سَـلط سخريته نحو معتقداتهم ومفاهيمهم ، كل ذلك في قصيدة سمّاها " المخــرج والمــردود علــى النّصارى واليهود " يقول في مطلعها : [1]

جـاءَ المَسِيحُ مِـنَ الإلـهِ رَسُـولا فــأَبَى أَقــلُّ العــالَمِينَ عُقُــولا
قَـوْمٌ رَأَوْا بَـشَرَاً كريمـاً فـادَّعَوْا مِــنْ جَهْلِهِــمْ للَّــهِ فيــهِ حُلــولا

يفنّد الشاعِر هنا فكرة ألوهية سـيدنا عيــسى u ، واصــفاً النــصارى بــالحمقى لتصديقهم هذا الإدعاء ، مُبدياً دهشته من هذه الفكرة ، مؤكداً عدم صِدقها بقوله : [2]

أسَــــمِعْتُمُ أنَّ الإلــــهَ لحَاجَــــةٍ يَتَنَــاوَلُ المَــشْرُوبَ وَالمَــأْكُولا
ويَنَــامُ مِــنْ تَعَــبٍ وَيَــدْعُو رَبَّــهُ ويَـرُومُ مِـنْ حَـرِّ الهَجِيـرِ مَقِـيلا

وينتقل الشاعِر من فكرة ألوهية عيسى إلى فكــرة التثليــث ، ســاخراً مــن منطــق النصارى، متسائلاً عن طبيعة هذا الإله المركب وماهيته [3] يقول : [4]

ضَلَّ النَّصارَى فـي المَسِيحِ وَأقْسَمُوا لا يَهْتَـدُونَ إلَـى الرَّشَـادِ سَـبيلا
جَعَلُـوا الثَّلاثَـةَ واحِـداً وَلَـو اهتَـدَوا لَـمْ يَجْعَلـوا العَـدَدَ الكَثيـرَ قلـيلا

ويقول في قصيدة أخرى : [5]

ليـت شـعري ذِكـرُ الثلاثـةِ وَالـوا حِـدِ نَقْـصٌ فـي عَـدِّكم أمْ نَمـاءُ
كيـف وَحَّـدْتُم إلهـاً نَفَـى الثَّـو حِيــدَ عنــه الآبــاءُ والأبنــاءُ
أإلــهٌ مُرَكَّــبٌ مــا سَــمِعْنَا بِإلــــهٍ لذاتِــــهِ أجْــــزَاءُ

وينتقل الشاعِر للسخرية من اليهود بقوله : [6]

لا تُكَــذِّبْ إنَّ اليَهُــودَ وقــد زا غُـوا عـن الحـقِّ مَعْـشَرٌ لُؤَمـاءُ

---

(1) نفسه ، 163.
(2) نفسه ، 166-167.
(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 227.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 168.
(5) البوصيري ، **ديوانه** ، 26.
(6) نفسه ، 28.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويأتي على ذكر عبادتهم العجل بقوله : [1]

قتَلـوا الأنبيـاءَ وَاتَّخَـذُوا العِجـ ـلَ ألا إنهـم هـم الـسُّفهاءُ[2]

ويقول في موضع آخر : [3]

والعابـدُونَ العِجْـلَ قـد فُتِنُـوا بـه ودُّوا اتِّخـاذَ المُرْسَـلِينَ عُجُـولا

فهو يعرض لعبادتهم العجل ويسخر من سفه عقولهم التي سَوّغت لهم هذا الأمر.

ومن جوانب السخرية من النصارى واليهود سخرية الشاعر أحمد بن يوسف الطيبـي منهم حين ألزموا بلبسِ العمائم الملونة ، حيث يقول : [4]

لا تعجبوا للنصارى واليهود معاً والـسامريين لمـا عمّمـوا الخِرقـا
كأنّمـا بـات بالأصـباع مُنـسهلا نسر السّماء فأضحى فوقهم درقا

---

(1) نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) قال تعالى : " ... " سورة النساء ، آية 153.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 169.

(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 343/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدِّراسة الفنّية

أولاً : اللُّغة .

ثانياً : الأسلوب.

ثالثاً : الصّورة الشعرية .

رابعاً : الإيقاع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : اللُّغة :

تُعَدّ اللّغة اللبنة الأساسية للأسلوب الأدبي [1] وتشكيلها أمرٌ مهم في بناء هذا الأسلوب[2] لذا لا بُدّ للشاعِر أو الأديب من تخيّر ألفاظه وتجويد صناعتها ، فاللفظ جِسمٌ ، روحه المعنى ، يقوى بقوّته ، ويضعف بضعفه ، فإذا سلم المعنى واختلَّ اللفظ كان ذلك نقصاً للشعر ، كالجسم الذي تعتريه بعض العلل ، فأي اختلالٍ في اللفظ يؤدي إلى اختلالٍ في المعنى.[3]

واللّغة الشعرية مُلتصقة تماماً بطبيعة الشاعِر وروحه ، والعلاقات التي يُقيمها بين مفردات اللغة تعكس صورة العلاقات في العالم الذي أوجده . [4]

ولذلك فقد مال شعراء السخرية إلى العامية في مواقفهم السَّاخرة لأن الموقف يقتضي ذلك في بعض الأحيان ، ومن ذلك قول الوراق في شخصٍ أنشده شعراً فلم يعجبه فسخر منه بقوله : [1]

أنشَدَني شِعْراً بهِ ظَنَنْتُ فُاهُ مَبْعَرا
وَقالَ لي كَيْفَ تَرَى قُلْتُ أرَى مِثلَ الخَرا

حيث يستخدم في نهاية البيت الثاني كلمة عامية قبيحة .

وقد ذكر ابن دانيال هذه الكلمة في سخريته من بخيلٍ حيث قال له : [2]

---

(1) ينظر : ابن رشيق ، **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، 200/1.
(2) ينظر : مندور ، محمد ، **الأدب وفنونه** ، 37.
(3) ينظر : ابن رشيق ، **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، 200/1.
(4) ينظر : أدونيس ، **زمن الشعر** ، 235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تباخَلْتَ حتّى صِرْتَ أصفرَ مُنْتَناً فكنتَ جديراً أنْ تُلَقّبَ بالخرا

وله أيضاً في تصوير نفسه وبيان قبح رائحة فمه إذا ما تحدّث مع صورته في المـــاء قوله : [3]

إذا مـا ابتـداني بالحـديثِ حَـسِبْتُهُ تَـسَوَّكَ مـن فـرطِ النتّونـةِ بـالخرا

حيث يشبه رائحة فمه بهذه الرائحة الكريهة التي ذكرها في آخر بيته .

وبالعودة إلى الوراق نراه يسخر من الصَّبر وعواقبه مستخدماً ألفاظاً عامية بقوله :[4]

عَواقِبُ الـصَّبْر فِيمـا قـالَ أكثـرُهُمْ مَحمودَةٌ قُلْتُ : أخشَى أنْ تُخرِّينا

وقد نشدَ الشعراء في سخرياتهم الوضوح والانسجام ، بقدر ما تـــسعفهم بـــه ثقـــافتهم وموهبتهم ، فوصلنا منهم شعر جميل بسيط [5] ألفاظه بعيدة عن الحوشي والتعقيـــد ، ومعانيـــه واضحة سهلة الفهم والاستيعاب .

ومن ذلك قول الجزّار : [6]

كيـــف لا أشـــكُر الجـــزراة مـــا عِـــشْتُ حفاظـــاً وأرفـــضُ الآدابـــا
وبهـــا أضـــحت الكـــلاب تُرَجينـــي وبالـــشعر كُنـــت أرجـــو الكلابـــا

لغة الجزّار كما هو واضح من الأبيات السابقة سهلة تميل إلى العامة ، وهذا طبيعـــي يرجع إلى نشأته حيث إنه تربى بين طبقة العامة في الفسطاط لزمنه . [7]

---

(1) العيني ، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** ، 332.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 246.
(3) نفسه ، 175.
(4) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.
(5) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 362.
(6) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 316/1.
(7) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 296/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونلحظ السهولة والوضوح كذلك عند ابن دانيال الذي اتبع هذا الأسلوب ، حيث لا نجد في أشعاره ألفاظاً غريبة ، وكأنه حاول أن يجعلها قريبة قرباً شديداً إلى عامة أهـل القـاهرة لزمانه [1] ومن ذلك قوله في نعي إبليس : [2]

مـاتَ يـا قـومُ شـيخنا إبلـيسُ وَخَـلا منـهُ رَبعُـه المـأنوسُ
وَنَعـاني حَدسـي بـهِ إذْ تُـوُفّي وَلَعَمـري مماثُـهُ مَحـدوسُ

ولتوخي السُّهولة قام الشعراء بصياغة شعرهم السّاخر في مقطعات قـصيرة لطيفـة ، ليؤمنوا لها السيرورة و الانتشار ، وليسهل حفظها لتحقيق الأغراض التي قيلت من أجلها.[3]

حيث نلحظ في شعر السّخرية أن معظمه تقريباً جاء في مقطعات منفردة في بيتـين أو ثلاثة ، ولربما أرادوا أن يقولوا شيئاً فاكتفوا بهذا القدر لأن حاجتهم قد استنفذت خـلال هـذه الأبيات القليلة . [4]

(1) ينظر : ضيف ، شوقي ، **تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات** ، 382.
(2) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 151.
(3) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 178.
(4) ينظر : عبد الهادي ، حسن ، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، رسالة دكتوراه ، 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك ظاهرة برزت لدى شعراء السُّخرية تكمن في استخدام ألفاظ الحرفة ومصطلحاتها وتسخيرها لخدمة أغراضهم السّاخرة فكل شعراء الحرف تقريباً أتوا على ذكر حرفهم ومن ذلك قول الجزّار : [1]

خَلِيٌّ فؤادي ولي فمُ وَسِخٌ كأنّني في جزارتي كلبي

وقوله : [2]

أصبحتُ لحّاماً وفي البيت لا أعرف ما رائحة اللحم

أما ابن دانيال فيذكر حرفته بقوله : [3]

يا سائلي عنْ حرفتي في الورى وضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حالُ مَنْ درهَم إنفاقه يأخذهُ من أعُين النّاس

ويذكر الشعراء الحرف وألفاظها ساخرين منها مثل قولِ الشعراء في وصف الحمام ، وأذكر منهم ما قاله ابن الوردي في حمام وقيّمه : [4]

حمَّامُكُمْ قيّمُهُ شاطرُ هربْتُ منهُ وأنا صارخُ
قدْ سلخَتْ جسمي أظافرُهُ يا قومُ هذا الأسودُ السالخُ

وقد استخدم الشعراء بعض الألفاظ الأعجمية والمعربة والدخيلة " ووجود هذه الألفاظ أمر طبيعي ، لأنه لا بُدّ أن يتأثر المرء بألفاظ غريبة كهذه الألفاظ الشائعة في عصره والمستخدمة بين العوام " .

---

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 316/1.
(2) نفسه ، 317/1.
(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 92.
(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 205.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على هذه الألفاظ في شعر السّخرية : الطيلسان والجُوخة والصِّرناج

ومن ذكره الطيلسان بمعنى الثوب ما قاله الجزار : [1]

ومـن الزّمهريـرُ إذا حَـدَث الغـيمُ ثيـــابي وطيْلـــساني هَـــوَاءُ

وقوله : [2]

غَيْرُ خـافٍ عَنْـك الـذي نالـه الأسـودُ بـــالأمْسِ مـــن نـــدى الـــسُّلطان
وتمـــشّيه بالعمامـــة والثـــوبِ ومنـــديل الكُـــمِّ والطيلـــسان

ومن ذكر الجوخة بمعنى ثوبٍ من الصوف قَول الوراق : [3]

هـذا وجُـوختي الزّرقـاءُ تَحْـسَبها من نَـسْج داود فـي سَـرْدٍ وإتْقـانِ

ومن ذكر الصرناج بمعنى آلة موسيقية قول السراج المحار : [4]

شـبّهت أنملهـا علـى صِـرناجها وقبـيح مبـسمها الـشنيع الأبخـر
بخنـافِسٍ قـصدت كنيفـاً واغتـدت تَـسْعَى إليـه علـى خيـار الـشّنبر

أما الضرائر أو الضرورات الشعرية التي قد يلجأ لها الشاعِر لأنها تُعدّ من الممكنـات التي أبيح له استخدامها دون غيره ، كصرفٍ لممنوعٍ من الصرف ، أو مدٍ لمقـصور وقـصرٍ لممدود وغيرها فنلمحه في شعر السخرية كذلك .

---

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.

(2) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 327.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

(4) العباسي ، إبراهيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، 106/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن داينال : [1]

إذا أرمَــداً وافــاهُ يَــشكو تألمــاً منَ العين داوى العينَ كالضِّرس بالقلع

فهنا صرف كلمة " أرمد " وهي ممنوعة من الصرف .

ومن ذلك قول البوصيري : [2]

ومــا أخْـشَى عَلَـى أمْـوَالِ مِـصْرٍ سِــوَى مِــنْ مَعْــشَرٍ يَتَأوَّلُونــا

حيث صرف كلمة " مصر " وهي ممنوعة من الصرف .

ومنه قول ابن الوردي : [3]

لا تـــــــصحبنَّ أعـــــــوَرا وإنْ تنـــــــاهى زينُـــــــهُ

فقد صرف كلمة " أعور " وهي ممنوعة من الصّرف .

ومن الضرائر التي وجدت في شعر السخريةَ كذلك قصر الممدود في مثل قــول ابــن دانيال: [4]

ونـــــابحِ قـــــدِ افتَـــــرى تَـــــشَبُّهاً بالـــــشُّعرا

فهنا أتى بكلمة " شعرا " بدل شعراء .

وقوله كذلك : [5]

أوَ مــاذا الــشِّتا أتــاني وفــوقي جُبّــةٌ قــد لَبــسْتُها مــن جِلــدي

حيث قال " الشتا " بدلاً من الشتاء .

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 141.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 267.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 268.

(4) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 141.

(5) نفسه ، 238.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى سبيل ذلك أيضاً قول ابن الوردي : [1]

أحــلَّ الــضيوفَ علــى ســطحه وفــرَّجهم فــي نجــومِ الــسما
وقطَّـــعَ بـــالجوع أكبـــادَهم "وإنْ يــستغيثوا يغــاثوا بمــا"

فجاء بكلمتي " السّما وبِمَا " والأصل السماء والماء .

ومنه قول الجزار : [2]

أعْمَــلُ فــي اللحــم للعــشاءِ ولا أنــالُ منــه العــشا فمــا ذنبــي

فقد أتى بكلمة " العشا " بدل العشاء .

ومن الضرورات التي لجأ إليها الشعراء كذلك تخفيف همزة القطع ، في مثل قول ابن دقيق العيد : [3]

فــإن تخــالط مــنهمُ مَعْــشراً هَوَيــتَ فــي الــدّين علــى الــرّاس
يأكُــلُ بعــضهم لحــمَ بعــضٍ و لا يَحْــسِبُ فــي الغيبــة مــن بــاس

حيث خفف الهمزة في كلمتي " الراس والباس " وهما في الأصل الرأس والبأس.

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 284.

(2) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 316/1.

(3) الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، 204/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : الأسلوبُ :

ليس الأسلوبُ إلا وسيلةً من وسائل نقل المعاني ، وجودته قد ترقى بالمعاني فتخرجها في كلّ شكلٍ يدعو إلى الإعجاب . [1]

والأسلوب ليس المعنى وحده ولا اللفظ وحده ، إنّما هو مركّب من عناصر مُختلفة يستمدّها الفنان من ذوقه [2] ومعنى هذا أنّ عناصر الأسلوب كُلٌّ لا يتجزأ ، ومن المعروف أنَّ هذا الأسلوب ، يصير صَفة من صفات الإنسان الشخصيَّة . [3]

ولكلِّ شاعر أسلوبٌ في اختيار ألفاظه وتأليف الكلام والفكرة والصّورة [4] والصّورة من أهم ما تنتهي إليه الأساليب الفنيّة خصوصاً عندما تكون مصحوبة بموسيقا اللفظ وجمال التَّعبير، وبالحركة التي تُعَدّ أهم العناصر التي يجب أن تتوافر في النّص الشعري ، ذلك لأنَّ الشعر يصف الجمال وهو في حالة حركة ، أي يصف سحره وأثره ، ولا يصف الجمال السَّاكن. [5]

ويمكن القول : إن الأسلوب ليس مجرد طريقة للكتابة ، فهو مرتبط عند كلّ كاتبٍ بالإلهام الخاص الذي يدعو إلى الكتابة فيصبح متّصِلاً بالتفكير والشعور [6] فالأديب يختار طريقة التعبير التي تتلاءم مع عواطفه ومشاعِره وأحاسيسه جميعاً [7] ومن هنا كان الأسلوب

---

(1) ينظر : أمين ، أحمد ، **النقد الأدبي** ، 74/1.

(2) ينظر : طبانة ، بدوي ، **البيان العربي** ، 287.

(3) ينظر :أمين ، أحمد ، **النقد الأدبي** ، 130/1.

(4) ينظر : طبانة ، بدوي ، **البيان العربي** ، 287.

(5) ينظر : السّمرة ، محمود ، **النقد الأدبي والإبداع في الشعر** ، 52.

(6) ينظر : اسماعيل ، عز الدين ، **الأدب وفنونه** ، 28.

(7) ينظر : عبد الرحمن ، منصور ، **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري** ، 189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتيجة لعوامل خفيّة وبيّنة خلقت في الشعراء حالات ومشاعِر دفعتهم لاتباع طرق معيّنة للوصول إلى أغراضهم .

فسخرية الجزّار والوراق وابن دانيال وغيرهم من شعراء الطبقة الفقيرة كانت نتيجةً لإحساسهم بالقهر والظلم ، فلم يتبعوا أسلوب القدامى من الوقوف على الأطلال أو النسيب وغيره بل لجأوا إلى المقطعات الشعرية ، يقول محمد زغلول سلام عن السراج الورّاق : " إن السّراج أكثر توفيقاً في مقطعاته الشعرية من القصائد ، لم يكن بالشاعِر المجيد إذا قَصَد ، وإنما مقطوعاته تجري لطيفة يسيرةً . [1]

وقد اتّسم الطّابع العام للشّعر المملوكي بالميل إلى السّهولة فألفاظ الشعراء سهلة واضحة قريبة من الفهم والاستيعاب بعيدة عن التعقيد ، ويرى عبده قليقله أن الأسباب وراء ذلك ناجمةٌ عن بعد العهد بين شعراء العصر المملوكي عن العصر الجاهلي ، وهو عصر غرابةِ اللغة وقوّتها وفصاحَتها ، ويرى أن هناك سبباً آخر هو ضعف الثقافة اللغوية لدى شعراء المماليك [2] كما أن الشعراء كانوا يخاطبون في أشعارهم الطبقة العامَّة ، فالجزّار له أسلوب من أسهل الطرق التي يميلُ لها العامة ولا ينكرها الخاصة لقرب مأخذها وحُسْنِ مَنزعِها . [3]

---

(1) **الأدب في العصر المملوكي** ، 157/2.

(2) ينظر : **النقد الأدبي في العصر المملوكي** ، 281.

(3) ينظر : ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 296/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمقطوعات الشّعرية الساخرة للجزّار تَسْطَع بالبساطة والرّقة ، خصوصاً عند سخريته من زوجة أبيه ، يقول : [1]

تَزَوّجَ الشّيْخُ أبي شَيْخَةً ... ليسَ لها عَقْلٌ ولا ذِهْنُ
لو برزت صورتها في الدّجى ... ما جَسَرت تبصرها الجنُّ
كأنها في فرشها رمّةٌ ... وشعرها من حولها قُطْنُ
وقائل قال : فما سِنّها ... فقلتُ : ما في فمها سِنُّ

فهو يسخر من هذه المرأة بأسلوبٍ سهلٍ ليس فيه غرابة أو تعقيد .

أما البوصيري ، فقد اتّسم شعره السّاخِر أيضاً بالسّهولة التي تتجلّى في سهولة لفظه والسماحة في تراكيبه والقرب في معانيه التي تدلُّ على خفّة ظِلّه وحلاوة معشره [2] ومن ذلك ما نراه في قوله على لسانِ فتاةٍ راودها عن نفسها ، يقول : [3]

أهَوَىً والمَشِيبُ قدْ حالَ دونَهُ ... والتَّصابي بَعْدَ المَشِيبِ رُعُونَهْ
أبَتْ النَّفْسُ أنْ تُطِيعَ وقالَتْ ... إنَّ حُبِّي لا يَدْخُلُ القِنِّينَهْ
كَيفَ أعْصِي الهَوَى وطِينَةُ قلْبي ... بالهَوَى قبْلَ آدَمَ مَعْجُونَهْ

" من الملاحظ على هذه الأبيات سهولة الأسلوب ، والميل إلى التراكيب الشّعبية ، وما يجري على ألسنة العامَّة من الأمثال والعبارات ، وهذه الملاحظة تنطبق على معظم شعره الذي جَنَح فيه إلى الدّعابة والسُّخرية ، شأنه في ذلك شأن رجال عصره " . [4]

---

(1) ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، 293/13. و اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** ، 64/4. و الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

(2) ينظر : أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدّ على العصر المملوكي** ، 84.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 267.

(4) أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدّ على العصر المملوكي** ، 79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في النقد التهكّمي ، فإن البوصيري أكثر إجادةً فيما يتعلّق بسبك المعاني ، وتخيـــر الألفاظ اللينة والتراكيب السَّهلة التي تتناسب مع أفهام عامة الشعب ، وتتجلّى براعته في ســـتر مشاعِره الساخطة بغطاء رقيق من التندّر والسُّخرية ، نلمح ذلك في حديثه عن قومٍ حُكم عليهم بأن تحلق نصف لحية كلٍّ منهم [1] حيث يقول : [2]

ثُـــمَّ قـــالوا عَـــنْ ذُقـــون حُلِقَـــت ... قُلْـــتُ لا بَـــدَّ لهـــا أن تُحْلَقـــا
إنّ حَلْـــقَ الـــذَّقن خيـــرٌ لِلفَتَـــى ... يـــا بَنِـــي الأعْمَـــامِ مِـــنْ أنْ تُنتَفـــا
وَالّـــذي حَلَـــقَ أنـــصافَ اللِّحَـــى ... كـــانَ فـــي الأحكـــامِ عَـــدْلاً مُنْـــصِفا
حَلَـــقَ النِّـــصْفَ بـــذَنْبٍ حاضِـــرٍ ... وَعَفـــا بالنـــصفِ عَمَّـــا سَـــلَفا

أما ابن دانيال ، فمن الطبيعي أن يكون أسلوبه في مقطعاته الشعرية الـــساخرة ســـهلاً قريباً من العامة ، حيث أنه كان يصوّر في شعره الساخر الهزلـــي بعـــض أحـــداث عـــصره المتصلة بحياة الناس إتصالاً مباشراً . [3]

ومن ذلك نظمه في حادثة تبطيل المفسدات وإراقة الخمور ، حيث يقول : [4]

لقد كـانَ حَدُّ السكر من قبل صَلْبه ... خفيـفَ الأذى إذا كـانَ فـي شَـرْعنا جلـــــــــــــــــــــــــــــــدا
فلمّا بَدا المصلوبُ قُلتُ لصاحبي ... ألا ثُـبْ فـإنَّ الحـدَّ قد جـاوز الحدّا

---

(1) ينظر : أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدٌ على العصر المملوكي** ، 85-86.
(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 175.
(3) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 168/2.
(4)الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع صفي الدّين الحلّي ، نجدُ نفوراً من اللفظ الغريب النَّابي ، ونلاحظ دعوةً إلى الأنيس المتحضر ، وهو في هجائه يتوخّى السّخرية والتطريف أكثرمن الهجاء والتشفي ، ففي هجائه لبخيل يصلُ الحلّي في سخريته إلى مرتبة رفيعة من التّصوير الخاطف [1] يقول : [2]

لا يَعرفُ الحَمّامَ لَكِنَّهُ فـي البَيتِ يَحمي الماءَ فـي الشَمس

إذا رَأى فـي قدرهِ لَحمَةً تَلا عَليها آيَةَ الكُرسي

فهذه صورة فنّية متناهية الغرابة ، ولكنها في أصلها وطبيعتها متناهية البساطة والواقعية . [3]

أما عن الوسائل والأساليب التي استعان بها شعراء السخرية عامة فأهمّها :

1- أسلوب الأمر :

ويُقصد به طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، والاستعلاء هو أن ينظر الأمر على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه سواء أكان أعلى منزلة أم لا ، وأحياناً يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى يُستَدل عليها من السياق ، ومن هذه المعاني الإهانة والتحقير [4] وفي شعر السخرية أراد الشعراء الهبوط بالمهجو وأذيته واستفادوا من أسلوب الأمر ، كقول

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 190.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 518.

(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 190.

(4) ينظر : عتيق ، عبد العزيز ، **علم المعاني** ، 81-83.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن دانيال : [1]

قُـل لِقاضـي الفُسوق والإدبـار عَـضْدِ البُلـهِ عُمْـدَةِ الفُجّـار
والـذي قـد غَـدا سَـفينةَ جَهْـلٍ وَلَـهُ مِـن قُرونـهِ كالـصّواري

وفي قول البهاء زهير : [2]

أرحنـي مِنـكَ حَتّـى لا أرى مَنظـرَكَ الـوَعرا

وقول شمس الدين بن الصّائغ : [3]

تجنّـب كُـلَّ أقطـع فهـو لِـصٌّ يُريـدُ لـك الخيانَـةَ كُـلَّ سـاعَهْ

2- أسلوب النَّفي :

وفي هذا الأسلوب يتم نفي الصفات الحسنة عن المهجو وإثبات نقيضها كقـول البهـاء زهير في هجاء فرس والسّخرية منها : [4]

وَفَـرَسٍ عَلـى المَـسا وي كُلِّهـا مُحتَوِيَـه
وَلَـيسَ فيهـا خَـصلَةٌ واحِـدَةٌ مُـستَوِيَه

وقوله في هجاء رجلٍ أسود : [5]

وأسود ما فيه من الخير خُصْلَةٌ لـه زفـرةٌ مـن شَـرّه وشـواظُ

ومنه هجاء مجاهد بن سلميان الخيَّاط للجزّار بقوله : [6]

إنْ تـاهَ جـزّاركم علـيكم بفطنـةٍ عِنـده وكَـيْس
فلـيس يَرجـوه غيـر كَلْـبٍ ولـيسَ يَخْـشَاه غيـر تَـيْس

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 161.
(2) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 143.
(3) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 196/8.
(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 395.
(5) نفسه ، 191.
(6) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 101/1-102.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أمثلته قول البوصيري في هجاء بعض الرعاع الذين عاثوا فساداً في زمـــانهم ، واصفاً سوء أخلاقهم نافياً عنهم لا صفات الخير فقــط ، بــل العروبــة والتّحــضر أيــضاً ، بقوله:[1]

عَصَتْ عليـه أنـاسٌ لا خَـلاقَ لَهُمْ ... الـشُّؤْمُ شِـيمَتُهُمْ واللُّـؤْمُ والـدَّبَرُ
تَلَثَّمُــوا ثــمَّ قــالوا إننــا عَــرَبٌ ... فقلـتُ لا عَـرَبٌ أنـتمْ وَلا حَـضَرُ
ولا عُهُـودَ لكُـمْ تُرْعَـى ولا ذِمَـمٌ ... ولا بُيُـــوتُكُم شَـــعْرٌ وَلا وَبَـــرُ

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 138-139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- أسلوب الشَّرط :

وقد جاءَ الأسلوب موائماً للتّهكم والسّخرية ومنه قول الشاعِر صفي الدين الحلـــي فـــي وصفِ سارقٍ بارع ، حيث يقول : [1]

لَـــو عايَنَـــت مُقلَتُـــهُ دُخنَـــةً لَاِســـتَرَقَ اللُـــبَّ مِـــنَ القِـــشر
ولَـــو فُلاهـــا بَعـــدَهُ نـاقِـــدٌ لَـــم يَـــرَ فيهـــا أثَـــرَ الكَـــسر

وقول ابن دانيال ساخراً من نَفسه : [2]

أنـــا لـــو رُمـــتُ للعـــلاج طبيبـــاً مـــا تَعَـــدَّيتُ ســـكَّة البيطـــار

ومنه قول الجزار في وصف نفسه في الشتاء : [3]

لو تراني في الشمس والبرد قدْ أنحْل جسمي لقُلْتَ إنّي هَبَاءُ

4- أسلوب الطّباق :

وهو الجمع بين الشيء وضده [4] أو الجمع بين المتـــضادين مـــع مراعـــاة التقابـــل ، ويقصد به عدم الإتيان بأسمٍ مع فعلٍ ولا بفعلٍ مع اسم . [5]

ومن الأمثلة عليه قول البوصيري : [6]

مِـنْ لُـؤْمِ أحْـسَابِهِمْ إنْ شـاتَمُوا وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إنْ قاتَلوا خَسِرُوا
رَبحـــــــــــــــــــــــوا

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 645.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 164.
(3) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.
(4) ينظر : العسكري ، **الصناعتين** ، 316.
(5) ينظر : محمود ، شهاب الدين ، **حسن التوسل إلى صناعة الترسل** ، 200.
(6) البوصيري ، **ديوانه** ، 117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالطباق بين كلمتي " ربحوا وخَسِروا " وهو طباق إيجاب ويقصد به الجمع بين لفظتين تضادَ معناهُمَا وكلاهُما مثتب . [1]

ومن الأمثلة عليه أيضاً قول البهاء زهير في السّخرية ممن يدعون الزّهد بقوله : [2]

كَـم أنــاسٍ أظهَـروا الزُهـدَ لَنــا فتَجــافوا عَــن حَــلالٍ وَحَــرامِ

فالطباق بين كلمتي " حلال وحرام " .

ومنه قول ابن الوردي في السخرية من مغنية قبيحة الشكل ولكن صوتها جميل ، حيث يقول : [3]

غنيــتِ ســافرةً لهــمْ فقلــوبُهُمْ فــي جنَّــةٍ وعيــونُهمْ فــي نــار

فقد طابق الشاعر بين كلمتي " جنة ونار " .

وقوله أيضاً في السخرية من أعورين : [4]

أعــورُ بــاليمنى إلــى جنبــهِ أعــورُ باليــسرى قــدِ انــضما

فالطباق بين كلمتي " باليمنى وباليُسرى " .

---

(1) ينظر : العاكوب ، عيسى ، وآخر ، **الكافي في علوم البلاغة العربية** ، 568/2.

(2) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 238.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 391.

(4) نفسه ، 239.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- أسلوب المراجعة أو الحوار :

وهو الإتيان بحوار يقول فيه أحدٌ شيئاً ويقول الآخر شيئاً يَردُّ عليه [1] ويقول ابن أبـــي الإصبع : " يُفَضَّل أن يكون بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ ، إمّا في بيـــتٍ واحـــدٍ أو في أبيات أو في جملةٍ واحدة " [2] وشيوع الحوار يجعل من الشعر قصّة يمكن تخيّلها ويـــساعد على إبراز المعنى الساخر الذي يُريده الشاعِر ، ومنه قول الوراق : [3]

قالـــتْ : جَمعْـــتَ لِفاقـــةٍ كَـــسَلا ... فـانَهضْ وَقُـمْ وادْأبْ لِهَـمِّ العَائِلَـه
فأجبْتُ هَلْ تَـدْرين لـي سَبباً فقـا ... لَـتْ لا ولا وَتَـداً وَهـذِى الفاصِلَه

ومنه أيضاً قول البوصيري : [4]

وَيَـــوْمَ زارت أُمُّهـــم أُختَهـــا ... والأُخْـتُ فـي الغَيْـرَةِ كالـضَّرَّهْ
وَأَقْبَلَـــتْ تَـــشْكُو لهـــا حالَهـــا ... وَصَـبْرَها مِنـــي علـــى الغِـشْرَهْ
قالـتْ لهـا كيـفَ تكـونُ النِّـسا ... كـــذا مَـــعَ الأزواج يـــا غِـــرَّهْ
قُـومِي اطْلبـي حَقَّـكِ منـه بـلا ... تَخَلّـــفٍ منـــكِ ولا فُتْـــرَهْ
قالـت لهـا : مـا عـادَتي هكـذا ... فـــإنَّ زَوْجِـــي عنـــده ضَـــجْرَهْ
أخـــافُ إنْ كَلَّمْتُـــهُ كِلمَـــةً ... طَلَّقَنِـــي قالـــتْ لهـــا بَعْـــرَهْ

ونراه أيضاً قد بنى حواراً طريفاً بينه وبين بغلةٍ فسخر علـــى لـــسانها مـــن صـــاحبها بقوله:[5]

قالـــتِ البَغْلَـــةُ التـــي أوْقعَتْـــهُ ... أنـا مـا لـي علـى الغُبونِ مَـرَارَهْ
قلـتُ مـا تَكْـرَهِينَ فيـه؟ فقالـت : ... أيُّ بُخْـــلٍ فيـــه وأيّ قَتَـــارَهْ

6- أسلوب السَّرد القصصي :

---

(1) ينظر : الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 99.
(2) **تحرير التحبير** ، 590.
(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 119.
(5) نفسه ، 99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وفيه يكون الشاعرِ هو الرّاوي ، حيث ينقل بمفرده ما يجري ولا يخرج لغة الخطابِ من زمامه ، وفيه يصوّر الأحداث ويسجّلها " [1] وخير مثالٍ على ذلك قول البوصـــيري فـــي وصف حال عائلته : [2]

يـا أيّهـا المَـوْلى الـوزيرُ الّـذي	أيَّامُـــــهُ طائِعَـــــةٌ أمْـــــرَهْ
ومَـــنْ لَـــهُ مَنْزِلَـــةٌ فـــي العُـــلا	تَكِـــلُّ عَـــنْ أوْصَـــافِهَا الفِكْـــرَهْ
إليـــكَ نَـــشْكُو حالَنـــا إنّنـــا	عائلـــةٌ فـــي غايَـــةِ الكَثْـــرَهْ
صَـــاموا مَـــعَ النَّـــاسِ ولكـــنَّهمْ	كـــانوا لِمَـــنْ يُبـــصِرُهم عِبْـــرَهْ
إن شَـــربُوا فـــالبئْرُ زيـــرٌ لهُـــمْ	مـــا بَرِحَـــتْ والـــشَّرْبَة الجَـــرَّهْ
لهُـــمْ مِـــنَ الخُبَّيْـــزِ مَـــسْلوقةٌ	فـــي كـــلِّ يَـــوْمٍ تُـــشْبِهُ النَّـــشْرَهْ
أقـــول : مَهمـــا اجتمعـــوا حَوْلَهـــا	تَنَزَّهُـــوا فـــي المـــاءِ والخُـــضْرَهْ
وأقبـــلَ العيـــدُ ومـــا عنـــدهم	قمْـــحٌ وَلا خُبْـــزٌ ولا فطْـــرَهْ

ونجد هذا الأسلوب في وصف بعض الشعراء لمساكنهم التي تدلّ على فقرهم وضـــيق حالهم ، ومنهم ابن دانيال الذي رَسمَ لبيته صورة ساخرة مضحكة ، بقوله : [3]

أصبّحتُ أفقرَ مَن يَروحُ وَيغتدي	مـا فـي يَـدي مـن فـاقتي إلاّ يَـدي
فـي مَنـزلٍ لـم يحَـوِ غَيـريَ قاعداً	فمتـى رَقَـدتُ رَقَـدتُ غيـرَ مُمَـدَّد
لَمْ يبقَ فيهِ سِوى رسومِ حَصيرةٍ	ومخـــدَّةٍ كانَـــتْ لأمِّ المهتَـــدي
تُلقـى علـى طُرَّاحـةٍ فـي حَشْوها	قمـــلٌ شـــبيهُ السمـــسمِ المُتَبَـــدِّدِ

(1) عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الأردنية ، 241.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 110-111.

(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 154.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول في القصيدة نفسها : [1]

والفـارُ يَـرْكضُ كـالخيولِ تَـسابُقاً مـن كُـلِّ جَـرداءِ الأديـمِ وأجـرَدِ
يـأكُلنَ أخشابَ السّقوفِ كمثلِ فا راتِ النِّجـارةِ إذْ تُحَـكُّ بمِبْـرَدِ
وَتَرى الخنافِس كالزنوج تصفّقتْ مـنْ كُـلِّ سـوداءِ الأديـمِ وأسـودِ

7- أسلوب النّداء :

سَخَّر بعض الشعراء أسلوب النداء لخدمة سخريتهم ، إذ جعلوا من المنـادى عُرضـه لهذه السخرية ومجالاً للتهكم .

ومنه قول مجاهد الخياط في الجزار : [2]

أبـــا الحـــسين تـــأدَّب مـــا الفخـــر بالـــشّعر فخْـــرُ
ومـــا تبللـــت منـــه بقطـــرةٍ وهـــو بَحْـــرُ

وقول ابن الوردي في مخاطبة سُكان مصر : [3]

سـاكني مـصرَ أيـنَ ذاكَ التـأنّي والتـأبّي ومـالكمْ عنـهُ عـذرُ
يخـسرُ الـشخصُ مالَـهُ ويقاسـي تعـبَ الـدهر والولايـةُ شـهرُ

ومن الأساليب الأخرى كذلك استخدام " كم الخبرية " خصوصاً التكثيرية ، ومن ذلـك قول الخياط الدمشقي : [4]

كم تُظْهر الحُسن البديع وَتدّعي وبياض وجهك في النّواظِرِ مُظْلِمُ

فهو أراد التكثير والمبالغة في السخرية من خلال التكثير والمبالغة فـي ادعـاء هـذا المهجو الحسن والتقوى باستخدامه كم الخبرية التكثيرية .

ومنها قول البوصيري : [1]

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 155.
(2) الصفدي ، **نصرة الصائر على المثل السائر** ، 331.
(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 491.
(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 302/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَكَـمْ جَعَـلَ الْفَقِيـهُ الْعَـدْلَ ظُلْمـاً وَصَـيَّرَ بَـاطِلاً حَقَّـاً مُبينـا

وكأن حالات جعل الفقيه للعدل ظلماً وتصيره الباطل حقاً مبيناً كثيرة جداً بحيث لا تعد ولا تحصى .

فنون بديعية أخرى :

أ) التَّورية :

" وهي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان ، أو حقيقة ومجـاز ، أحـدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفيّة ، فيريد المتكلم المعنـى البعيد ، ويوري عنه بالمعنى القريب ، فيتوهم السَّامع أول وهلة أنـه يريـد القريـب ولـيس كذلك"[2].

وقد كانت التورية من المُحسنات البديعية التي أولع بها الشعراء ، فتهـافتوا عليهـا ، وتباروا فيها ، حتى اعتبروا الإحسان فيها مقياس نبوغٍ وعبقرية .[3]

---

(1)البوصيري ، **ديوانه** ، 252.

(2) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 184/3.

(3) ينظر : الفقي ، محمد كامل ، **الأدب العربي في العصر المملوكي** ، 141.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تطورت التورية حتى أصبحت مذهباً شعرياً يجب أن يتحلّى به كل شاعر وناثر وإلا عُدّ مقصراً ، مما دفع الشعراء إلى الإكثار منها ، حتى أصبحت غرضاً بحدّ ذاتها ، يُعمل الشاعر من أجلها شعوره وفكره . [1]

وقد أولع شعراء السّخرية بالتورية و وظّفوها لخدمة أغراضهم ، فالتورية من أقرب أنواع المحسنات البديعة والزخارف اللفظية لمادة الفكاهة ، لما تتضمنه من عنصر المفاجأة والاستضراب وتداخل المعاني وفي أكثر الأحيان بشكل ساخر" [2] ، ومن ذلك قول الوراق في بخيلٍ أضافهم ، فسخر منه ومن بخله بقوله : [3]

وأحْمَقٍ أضافنا بِبَقْلَه لنسبةٍ بينهما و وَصْلَه
فمن أقلّ أدباً من سُفْلِه قد مَدَّ في وَجْه الضيوفِ رِجْلَه

التورية في كلمة " رجله " إذ ذكر المعنى القريب " القدم " وأراد المعنى البعيد " نوع من النبات يُسمى البقلة " .

ويتلاعب الشاعر نفسه بلقبه قاصِداً إلى الإضحاك بقوله : [4]

شعريتي مُذ رمدت قد حَبَست طرفي عنكم فصِرتُ محبوسا
الحمدُ لِلّه زادني شَرَفاً كنت سِراجاً فصِرْت فانوسا

التورية في كلمة " سراج " حيث ذكر المعنى القريب " ما يُسْتضاء به " وأراد المعنى البعيد " لقبه " .

---

(1) ينظر : باشا ، عمر موسى ، **أدب الدول المتتابعة** ، 452.
(2) القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 114.
(3) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 246.
(4) نفسه ، 244

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هذا القبيل ما قاله مجاهد الخياط في الجزّار : [1]

إنْ تـــاهَ جـــزّاركم علـــيكم بفطنـــةٍ عِنـــده وكَـــيْس
فلـــيس يَرجـــوه غيـــر كَلْـــبٍ ولـــيسَ يَخْـــشَاه غيـــر تَـــيْس

التورية في كلمة " جزار " إذ ذكر المعنى القريب وهو " اللّحام " وأراد " لقب الهجو".

ويواري ناصر الدين بن النقيب بقوله : [2]

مَنَـــع الظّـــاهِر الحـــشيش مـــع الخمـــر فَـــوَلَّى إبلـــيسُ مـــن مـــصر يـــسعى
قـــال : مـــالي وللمقـــامَ بـــأرضٍ لـــم أمتّـــع فيهـــا بمـــاءٍ ومَرعـــى

فالتورية في " ماء ومرعى " حيث جاء بمعناهما القريب المعـروف ، وأراد الخمـر والحشيش .

ب) التّوجيه :

وهو كالتورية ، حيث يحتمل الكلام وجهين من المعنى ، ولكنه يكـون فـي الأعـلام والسور القرآنية وقواعد العلوم والمصطلحات ، وقواعد الفقه ، والحديث والعـروض وعلـم النجوم والهندسة وغيرها . [3]

ومن ذلك قول الجزّار : [4]

إذا مـــا قـــرَأتُ إذا زُلزلَـــت خـــشيتُ بـــأن تقـــرأ الواقِعَـــهْ

حيث يتحدث في هذا البيت عن بيته المتهاوي ويوظّف أسماء السور القرآنيـة لبيـان مدى سوء حاله ، فيوجه بأسماء سورتين هما " الزلزلة " و " الواقعة " ، " وهذه الأسـماء لهـا معنى قريب ، ومعنى بعيد ، والتوجيه بطبيعة الحال يُقصد به البعيد " .

---

(1) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 102/1.
(2) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 115/1-116.
(3) ينظر : سراحنة ، سارة ، **أبو بكر الدوماميني شاعراً وناقداً** ، رسالة ماجستير ، 15.
(4) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 251.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونرى التوجيه بأسماء السور في قول الجزار في سخريته من رجلٍ أسود تزيّن بملابس مُزخرفة حيث يقول فيه : [1]

غَيْرُ خافٍ عَنْك الذي ناله الأسودُ بالأمْس من ندى السُّلطان
وتمشّيه بالعمامة والثوبِ ومنديل الكُمِّ والطيلسان
قُلْتَ : إذا فُصِّلت عليه أرى الزّخرف يُتلَى بالنَّص فوق الدَّخان

فقد وجه بأسماء السور الآتيه : " فُصّلت ، والزّخرف ، والدخان " آتياً بمعناها القريب مع أنه يريد معناها البعيد للزيادة من سخريته من مهجوّه .

ومن التوجيه بقواعد العلوم والنحو و العروض ، ما قاله ابن الوردي : [2]

عزلوكَ لمَّا قلتَ ما أُعطي وولّوا مَنْ بَذَلْ
أوَ ما علمتَ بأنَّ "ما" حرفٌ يكفُّ عن العملْ

حيث وجّه بالحرف " ما " الكاف عن العمل وهو المعنى القريب ، وأراد المعنى البعيد وهو الامتناع عن الإعطاء .

ومن ذلك ما قاله الخياط في السخرية من شعر الجزار ، بقوله : [3]

أبا الحسين تأدَّب ما الفخر بالشّعر فخْرُ
وما تبللت منه بقطرةٍ وهو بَحْرُ

والتوجيه في كلمة " بحر " .

ومنها قول الوراق : [4]

قالتْ : جَمعْتَ لِفاقةٍ كَسَلا فانَهضْ وَقُمْ وادْأبْ لِهَمِّ العَائِلَه
فأجبْتُ هَلْ تَدْرين لي سَبباً فقا لَتْ لا ولا وَتَداً وَهذِى الفاصِلَه

فالسّبب والوتد والفاصلة من مصطلحات علم العروض .

---

(1) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 327.
(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 149.
(3)الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 331.
(4) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقَد وجَّه الشعراء بأسماء الأعلام ، ومنهم علماء اللغة والعروض ومـــن ذلـــك قـــول الجزّار : [1]

إنَّ فصْلَ الشّتاء مُنْذُ نحا جسمي أبْـــــدَت بيانَـــــه الأعـــــضاءُ
فيه عظمي المبرَّدُ إذ عَنّ الكسائيُّ واحتمـــــــــــى الفـــــــــرّاءُ

فقد وجه بأسماء علماء هم " المبّرد والكسائي والفرّاء " وأراد من هذه الأسماء معناهـــا البعيد .

ومن التوجيه بأسماء الأنهار ما قالَه ابن الوردي في هجاء مدينة شيزر بسوريا حيـــث قال : [2]

قيـــــلَ لـــــي : شـــــيزرُ نـــــارٌ وبهـــــا العاصـــــي مخلَّـــــدْ
قلـــــتُ :لا أمكـــــثُ فيهـــــا أنـــــا مِـــــنْ حـــــزبِ محمـــــدْ

حيث وجّه بكلمة " العاصي " فأتى بمعناها القريب وهو اسم نهر يمر مـــن ســـوريا ، وأراد المعنى البعيد وهو العاصي لأوامر الله سبحانه وتعالى .

ج) الاقتباس :

الاقتباس مظهر من مظاهر التأثُّر بالتراث الأدبي [3] " سواء أكان الاقتباس من القرآن الكريم أم الأحاديث الشريفة أم كلام العرب ، وقد برز الاقتباس من القرآن في الإشـــارة إلـــى معنى آية قرآنية ، أو إلى قصةٍ من قصص القرآن ، أو باستخدام ألفاظه " .

ومن التأثر بالقرآن الكريم واقتباس آية من آياته ما قاله الشاعِر ابن الوردي : [4]

---

(1)الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 329.
(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 335.
(3) ينظر : الصايغ ، هنرييت ، **اتجاهات الشعر العربي** ، رسالة دكتوراة ، 419.
(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 284.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحــلَّ الــضيوفَ علــى ســطحه وفــرَّجهم فــي نجــومِ الــسما
وقطَّـــعَ بـــالجوع أكبـــادَهم "وإنْ يــستغيثوا يغــاثوا بمــا"

فهو يقتبس من قوله تعالى : " bÎr ... "[1].

ومن ذلك قول ابن الأعمى في السخرية من حمامٍ حارٍ و وصفه بنار جهنم بقوله : [2]

قُلــتُ لمّــا رأيتــه يتلظّــى ربنــا اصــرف عَنّــا عــذابَ جَهـنَّم

حيث يقتبس من قوله تعالى : " ...[3]

وكذلك وصف الحلي لحمام حيث يقول : [4]

إنَّ حَمّامَــــكَ قــــد ضَــــ ـــــمَت حَميمـــاً وَحِمامـــا
فَهـــيَ مِثـــلُ النـــار ســـاءَت مُـــــــستَقَرّاً وَمَقامـــــا

---

(1) سورة الكهف ، آية 29.

(2) الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 736/7.

(3) سورة الفرقان ، آية 65.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 527.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يقتبس من قوله تعالى : " BR)ßr #v)Gó¡ßâ6Nä$™ $gR]ˆ " [1] .

وقد يكون الاقتباس بالإشارة إلى معجزات الرّسل ، كما فعل صفي الدين الحلي الذي أشار إلى معجزة سيدنا عيسى u المتمثلة بإحياءِ الموتى ، ليجعلها الضدّ في مهجوّه ، حيث يقول : [2]

أرى فيكَ يا عيسى الطبيبُ فضيلةً هِيَ الضِدُ مِن أفعالِ عيسى بنِ مَريَمِ
تُميتُ لَنا الأحياءَ مِن غَيرِ عِلَّةٍ وَتُضني وَتُغني باليَدَينِ وَبالفَمِ

أو حتى الإشارة إلى ذكر معجزته u وهي ولادته من أمٍ بغير أبٍ ، ويُوظفها للسخرية من مهجوّه اللقيط ، حيث يقول : [3]

سُمّيتَ عيسى وَلَم تَظفَر بمُعجِزَةٍ وَلَم تُشابِهُ في عِلمٍ وَلا حَسَبِ
وَلا أَتَيتَ بِشَيءٍ مِن فَضائِلِهِ إِلّا بِأَنَّكَ مِن أُمٍّ بِغَيرِ أَبِ

---

(1) سورة الفرقان ، آية 66.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 531.

(3) نفسه ، 530.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د) التّضمين :

وهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم والإتيان به في آخر الشعر أو أوسطه [1] أو إيداع الشاعرِ في شعره بعض ما يستملحه من شعر غيره ، سواء كان ذلك في بيتٍ كاملٍ أو نصفه ، أو ربعه ، بعد التمهيد له بروابط متلائمة تجعله مُنسجماً مع ما قبله وما بعده .[2]

وقد أكثر الشعراء في العصر المملوكي من التّضمين في أشعارهم ومن ذلك في شعر السخرية ما نراه عند صفي الدين الحلي الذي يسخر من طبيب بقوله : [3]

فما أنتَ إلّا خَبطُ عَشواءَ مَن تُصِب تُمِتـهُ وَمَـن تُخطِـىء يُعَمَّـر فَيُهـرَمِ

حيث ضمّن من بيت زهير بن أبي سلمى في قوله : [4]

رَأيـتُ المَنايـا خَـبطَ عَـشواءَ مَـن تُـــــــــــــــــــــــــــصِب تُمِتـهُ وَمَـن تُخطِـئ يُعَمَّـر فَيَهـرَمِ

ومن ذلك ما قاله ابن نباتة في الحديث عن الشذوذ حيث يقول : [5]

أقــولُ لمعــشرٍ جَلَــدوا وَلاطُــوا وبــاتُوا عــاكفينَ علــى المــلاحِ
لأنــتم خيــرَ مــن رَكِــبَ المَطايَــا وأنـــدىَ العَـــالَمينَ بُطـــونَ راحِ

حيث ضمن بيت جرير الذي قاله في المدح وهو : [6]

أَلَـستُم خَيـرَ مَـن رَكِـبَ المَطايـا وَأَنـــدى العـــالَمينَ بُطـــونَ راحِ

---

(1) ينظر : ابن رشيق ، **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، 720/2 و ينظر : ابن منقذ ، أسامة ، **البديع في نقد الشعر** ، 249.

(2) ينظر : الغباري ، عوض ، **دراسات في أدب مصر الإسلامية** ، 177.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 531.

(4) زهير بن ابي سلمى ، **ديوانه** ، 70.

(5) ابن نباتة ، **ديوانه** ، 20.

(6) جرير ، **ديوانه** ، 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنه في تضمينه يصرف البيت عن معناه الأصلي وهو المدح ، ليلائم معناه الجديد أو غرضه الجديد وهو السُخرية ، وصرف البيت عن معناه الأصلي إلى معنًى جديد و وضعه في غرضٍ جديد غير الذي وضع من أجله هو أحسن التّضمين برأي ابن حجة الحموي . [1]

ثالثاً : الصّورة الشّعرية :

تُعَدّ الصورة الشعرية جوهر فن الشعر عامة ، إذ لا بُدّ لأي عملٍ أدبي من صورٍ فنية تشعُ فيه الحيوية . [2]

والأديب الموفق هو الذي يعرض علينا الصّور الأدبية وكأنّها حقيقة ملموسة ، وهو حين يعرضها لا يعرضها صامتة بل مفسّرة مُجَسَّمة على أن ندرك أسرارها فيشملنا الإعجاب بها . [3]

ولا شكَّ أن الصورة تبرز المعنى وتقرّبه إلى الأذهان ، لذلك لا بُدّ أن تكون قريبة من الأذهان أيضاً . [4]

ولكي تكون الصور الشعرية واضحة جميلة ، لا بد لها أن تكون صوراً ذات علاقة ليس ببعضها فقط ، وإنّما بسائر مكونات القصيدة . [5]

---

(1) خزانة الأدب ، 4/19-21.

(2) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في النقد الأدبي ،** 162.

(3) ينظر : الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي ،** 218.

(4) نظر : ضيف ، شوقي ، **في النقد الأدبي ،** 162.

(5) ينظر : عبد الله ، محمد حسن ، **الصورة والبناء الشعري** ، 19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الجدير ذكره أن باستطاعة الشاعر محاكاة الواقع الذي يعيشه بالألفاظ ، مثله مثل الفنان الذي يصوّر واقعه من خلال قدرته على الرّسم ، فكلاهما يُحاكي الواقع ، ولكن كلٌّ يعتمد على قدرته ومقدار الأحاسيس والمشاعِر الكامنة في عالمه الداخلي [1] وهذا ما يراه السعيد الورقي أيضاً حيث يقول : إن الصورة تعبير عن الحالة النفسية التي يُعانيها الشاعر تجاه موقف معين من مواقفه مع الحياة [2] وقد جاءت الصور الشعرية الساخرة على نوعين ، مرتبطين بانفعالات الشاعِر وحالاته النفسية ، وهذان النوعان هما :

الصور المفردة والجزئية :

ومن الوسائل البنائية للصور المفردة تبادل المدركات ، وفيها يكون اعتماد الشاعر على أساليب التصوير المألوفة ، حيث يعتمد على تجسيم الصفات المحسوسة . [3]

ومن الأمثلة على ذلك قول الجزّار : [4]

لبستُ بيتي وقد زرت أبوابي عليَّ حتى غسلتُ اليوم أثوابي

فالتجسيم في قوله " لبست بيتي وزررت أبوابي " .

ومن أساليب هذا التصوير أيضاً التّشخيص ، ومثاله في قول الوراق : [5]

هذا وجُوختي الزّرقاءُ تَحْسَبها من نَسْج داود في سَرْدٍ وإتْقان
قلْتُها فغَدت إذ ذاك قائلةً : سبحانَ ربّي بَلَا قلبي وأبلاني
إنّ النّفاقَ لشيءٌ لَسْتُ أعْرفه ، فكَيفَ يُطْلَبُ مني اليومَ وجهان

(1) ينظر : أبو شريفة ، عبد القادر ، **مدخل إلى تحليل النص الأدبي** ، 59.
(2) ينظر : **لغة الشعر العربي الحديث** ، 82.
(3) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 254.
(4) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.
(5) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشاعر جعل الحياة تدبُّ في جوخته ، وأجرى معها حواراً لطيفاً أنطقها من خلاله بالحكمة ليصل إلى أنها بالية [1].

الصّور المركّبة :

وهي عبارة عن صور جزئية متآلفة تتداخل في نسيج متكامل يقوم على البناء الدرامي، متمثلاً في الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي وكذلك في الأسلوب القصصي ، ومن خلاله يقدم الشاعِر عواطفه وأفكاره التي تعذّر تقديمها عبر صورٍ جزئية . [2]

ومن الأمثلة على ذلك قول الجزّار : [3]

قالُوا وقد ضَاعَتْ جَميعُ مَصَالحي لِهمُومِ نَفْسٍ ليتَ لا حُمِّلْتُها
قدْ كانَ عِنْدَكَ يَا فُلانُ صَريمةٌ فَأجَبْتُهُمْ بعْتُ الحِمارَ وَبعْتُها

أما بالنسبة لأنماط الصورة الشعرية فإنّها لا تنحصر في النمط البصري ، بل هناك أنماط حسّية متعددة يمكن أن تتشكل من خلالها الصورة الشعرية ، فهناك النمط البصري والسمعي ، والذوقي ، والشّمي ، واللمسي ، والعضوي ، والحركي " .

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 250.

(2) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 254-255.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 264/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيما يلي بيان للصور الحسّية :

1- الصورة البصرية :

ترتد هذه الصورة إلى حاسة البصر ، وتُعَدُّ انعكاساً لمـــا رأى الــشاعِر أو شـــاهد [1]

ومثالها قول ابن دانيال : [2]

وَلَكَمْ قد رأيتُ في الماءِ شيخاً وهو جاثٍ في الجبِّ كالعيار
شيخُ سوءٍ كالثلج ذقناً ولكن وَجهُهُ في سوادِهِ كالقار

حيث يعكس الشاعر من خلال هذه الأبيات صورته ومنظره الذي تراءى له في البئر، واصفاً شكله حيث وجهه أسود وذقنه بيضاء.

ومثال على الصورة البصرية أيضاً قول الجزار : [3]

تَزوّجَ الشّيخُ أبي شَيْخةً ليسَ لها عَقْلٌ ولا ذِهْنُ
لو برزت صورتها في الدّجى ما جَسَرت تبصرها الجنُّ
كأنها في فرشها رمّةً وشعرها من حولها قُطْنُ

نرى من خلال الأبيات السَّابقة كيف فصل الشاعر صورة زوجة أبيه ، ناسجاً من مظهرها خيوط مشهد مسرحي ساخر [4] وقد استعان بألفاظٍ ساخرة لبيان مدى قبحها مثل رِمّه، وشعرها قطن .

ومن الصور التي تتعلق بالصورة البصرية نجد الصورة اللونية التي ترتدُّ إلى حاسة البصر .

---

(1) ينظر ، الشناوي ، علي الغريب ، **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي** ، 134.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 180.
(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.
(4) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 185.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن خلال دراستي لشعر السُّخرية وجدت أن للون الأصفر نصيبٌ فيه ، حيث قام الشعراء بتصوير ألوان بعض الأشياء التي كانت محطَّ سخريتهم بهذا اللون ، ومن هذا قول الجزّار في خلعته التي يسخر منها : [1]

لي من الشّمس خِلْعَةٌ صفراءُ لا أبالي إذا أتاني الشّتاءُ

وقد جعل ابن دانيال لون مهجوه أصفر بقوله : [2]

ألا بَلِّغ المُصْفَرَّ عَنِّي وإنْ يَكُنْ أخَسَّ الورى قدْراً لَدَيَّ وأحقرا

وينفي ابن دانيال عن محبوبه هذا الاصفرار بقوله : [3]

حبّيَ ما عابَهُ أصفرارُ كلاَّ ولا شانَهُ انسطال

وربما كان دافع ما دفع الشُّعراء لرسم هذا اللون في صورهم السَّاخرة هو ما يحمله من دلالات سلبية مثل المرض والخبث في بعض الأحيان ، فالشعراء يحسّون بالألوان في وجدانهم ويترجمونها على شكل صورٍ وكلمات .

أما اللون الأسود فكان له نصيب في شعر السخرية كذلك حيث سخر الشعراء من السّود ، ونجد مثالاً على ذلك في قول البهاء زهير : [4]

وأسود ما فيه من الخير خُصْلَةٌ له زفرةٌ من شَرّه وشواظُ

وقوله : [5]

وَأسوَدُ شَيخٍ في الثمانينَ سِنُّهُ غدا وَجهُهُ مِن أبيَضِ الشَيبِ أبلَقا

---

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 246.

(3) نفسه ، 228.

(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 191.

(5) نفسه ، 235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي البيتين نرى كيف أن الشاعرِ قد جعل هذا اللون في الصدارة ، حيث ابتدأ أبياتــه بذكر هذه الصفة في مهجوّه لمعرفته أنها بهذه الطريقة ستكون ألصق في أذهاننــا ، وبالتــالي سيكون الربط قوياً بين السخرية والهجاء وبين سواد مهجوه .

ويصف الجزّار جسده بالمُزرّق لشدة البرد ويتخيله سنجاباً بقوله : (1)

كُلَّما ازْرَقّ لونُ جِسمي من الـ ـــبردِ تخّيلـــتُ أنَّـــه سِـــنْجَابُ

وقد يعمد الشاعرِ إلى ذكر أكثر من لونٍ في بيته ، وهذا ما فعله الشاب الظريف فـــي حديثه عن الحشيشة وتأثيرها على شاربها ، حيث يقول الشاب الظريف : (2)

مَـا لِلْحَشيـشَةِ فـضْلٌ عِنْـدَ آكِلِهَـا لَكِنَّـهُ غَيْـرُ مَـصْرُوفٍ إلـى رَشَـدِهْ
صَـفْرَاءُ فـي وَجْهـهِ خَـضْرَاءُ فـي فمِــــــه حَمْرَاءُ في عَيْنِهِ سَوْدَاءُ في كَبِدِهْ

وإذا كان الشاب الظريف قد عمد إلى ذكر الألوان بأسمائها ، فإنَّ ابن دانيال اختـــصر الأمر بوصف ثوبه بريش الهدهد الذي يحتوي على كل الألوان ، يقول : (3)

هــذا ولــي ثــوبٌ تَــراهُ مُرَقّعــاً مِنْ كُلِّ لَـونٍ مثل ريشِ الهُدْهدِ

2- الصّورة السَّمعية :

وهي من الصور الحسية التي ترتد إلى حاسة السّمع ، حيث تكون انعكاساً لمـــا ســبقه الشاعر فأثّر به ، سواء كان هذا التأثر سلبياً أم إيجابياً ، ومن خلال هذا التأثر والانفعال يقــوم بترجمة الصوت إلى صور حسّية .

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 293/13.
(2) الشاب الظريف ، ديوانه ، 144-145.
(3) حمادة ، إبراهيم ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، 167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونلمح أصداء هذه الصورة في الشعر الساخر الذي نُظِم في المغنين أو العازفين المنكرة أصواتهم وألحانهم ، ومن ذلك قول صفي الدين الحلي في مغنٍ صوته قبيح : [1]

غنّي بصَوتٍ مِثل سَوطِ عَذابِ وَبَدا بوَجهٍ مِثل ظهر غُرابِ

هذه هي صورة المغني التي استقرت في ذهن الشاعِر من خلال حسّه الفني وأذنه الموسيقية التي لم تألف هذا الصوت فصورته صورةٌ انتقل فيها الشاعِر من الإحساس السمعي إلى الجسدي حيث جعل الصوت سوط عذاب .

أما محمد بن علي الواسطي فيصور لنا عزف عوادٍ وزامرٍ هَزا سمعه وأزعجاه فقال فيهما : [2]

شبَّهت ذا العواد والزامر إذ ضاقت علينا بهما المناهج

بعقربٍ يضرب وهو ساكت وأربد ينفخ وهو خارج

3- الصّورة الشَّمية :

وهي صورة تُدْرَك عن طريق حاسَّة الشم ، ومن خلالها ندرك الفوارق بين الروائح ، وقد ركّز شعراء السُّخرية على الروائح الكريهة وجعلوها في بعض الأحيان قوام سخريتهم .

ونلمح هذه الصورة في قول الجزّار : [3]

أذَابَتْ كِلى الشيخ تلك العجوز وأرْدتْه أنفاسها المُرْدِيَّهْ

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 523.

(2) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 54/4.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يجعل اللبنة الأساسية في بناء سَخريته من رائحة أنفاس زوجة أبيه القبيحة التي كانت سلاحاً قتلت فيه زوجها .

ومنها ما نراه في سخرية ابن دانيال من رجلٍ بخيلٍ بقوله : [1]

تباخَلْتَ حتّى صِرْتَ أصفرَ مُنْتَناً فكنتَ جديراً أنْ تُلَقّبَ بالخرا

وله أيضاً : [2]

إذا ما ابتداني بالحديثِ حَسِبْتُهُ تَسوَّكَ من فُرطِ النتّونةِ بالخرا

يعطينا الشاعر في هذا البيت صورة شمية علقت في ذهنه ولشدة ما فيها من سخرية وتفصيل للرائحة نستشعر أنها توَغَّلت في حاسة شمّنا وكأننا نقف مع الشاعر نشتم ما يشم ونشعر ما يشعر به .

4- الصّورة الحركية :

وتتمثل فيما يكوّنه الشاعر من وصفٍ للحركات وإخراجها في لوحة فنّية متعددة الأبعاد ، نشعر من خلالها بالنبض والحيوية والحياة في هذه الصور وكأننا نعيشها .

وقد استفاد الشعراء من هذه الصّور وسَخّروها في سبيل توضيح موضع السُّخرية التي هدفوا إليها .

ومن الأمثلة عليها ما قاله الحلي في وصف أرض الغور حيث أتى بأكثر من صورة حركية ونقلها إلينا في صورة ساخرة بقوله : [3]

لا جادَ هَطّالُ السَحائِبِ بُقعَةً بالغَورِ أضحَت وَهيَ شَرٌّ بقاعِهِ
أرضٌ تَضاعَفَ حَرُّها وَبَعوضُها فـي مَرجِها لَمّا حَلَلتُ بقاعِهِ
وَخَلا الذُبابُ بها فَلَيسَ ببارحٍ غَرداً يَحُكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 246.

(2) نفسه ، 175.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 528.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونرى هذه الصورة الحركية في قول ابن الوردي : [1]

حمَّـــامُكُمْ قيمُـــهُ شـــاطرُ هربْـــتُ منـــهُ وأنـــا صـــارخُ
قـــدْ ســـلخَتْ جـــسمي أظفـــارُهُ يـــا قـــومُ هـــذا الأســـودُ الـــسالخُ

مشهدٌ وليست مجرد كلماتٍ في هذين البيتين الشعريين ، صور حركية نابضة بالحياة ، حيث صوّر لنا الشاعِر مشهد هروبه من الحمام في حالة ذعرٍ صارخاً من هـذا القـيم علـى الحمام الذي سلخت أظافره جسم الشاعر .

وخير مثالٍ على الصور الحركية قول الجزار في هجاء نجيل : [2]

طالَمَـا كُنـت قبلهـا تَحفـظُ الْخُـبْ زَ ولكـن بالبخـلِ فـي الـصندوق
ليـتَ شـعري مـاذا تقـولُ إذا مـا رُمْتَ شتمي ، قُلْ لـي : بـأيّ طريق
عَلِـمَ اللهُ مَـا مَـضيتُ رَسُـولاً قـطُّ مـن عنـد ابنتـي لِعَـشيقي
لا ولاَ جئـت بالرّجـال إلـى بيتـي وكاسـرت عـنهم فـي الـسّوق

وكأننا أمام مشهد مسرحي يتألف من عدة حلقات ، في الحلقـة الأولـى يـصور لنـا الشاعِر حفظ مهجوّه للخبز في الصندوق ، فتتراءى أمامنا صورة هذا البخيل الخائف علـى أن يُنال خبزه ، فيبادر إلى حفظه وكأنه كنز ثمين .

وفي الحلقة الثانية يرسم لنا مشهداً تمثيلياً مُتمثلاً في سَعي مهجوّه بين أبنته وعـشيقها والمضي رسولاً بينهما .

أما في الحلقة الثالثة فيصوّر لنا الشاعِر شذوذ مهجوه الذي يأتي بالرّجال إلى بيته .

سلسلة حلقات مكتملة في هجاء هذا البخيل والسّخرية منه بتوظيف الـصور الحركيـة التي خلقت لنا هذه المسرحية الساخرة .

5- الصّورة الإيحائية :

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 309.

(2) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 281/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي تعبيرٌ عن المطلق بالمحدد ، حيث تشير إلى المعاني المجردة فتُجسّمها [1] وقد أولع شعراء السخرية بتجسيم وتشخيص المحسوسات المادية في سبيل تدعيم سخريتهم ومن ذلك قول الوراق : [2]

هذا وجُوختي الزّرقاءُ تَحْسَبها من نَسْجِ داود في سَرْدٍ وإتْقانِ
قلبْتُها فغَدت إذ ذاك قائلةً : سبحانَ ربّي بَلَا قلبي وأبلاني

رسم لنا الشاعِر في هذين البيتين صورة لجوخته التي جعلها من البشر تشاركه همومه وفقره ، فبنى معها حواراً لطيفاً جعلها من خلاله تبيّن لنا مدى فقر وعوز صاحبها .

أما صفي الدين الحلي فيبني حواره مع رغيف مهجوّه البخيل ، ومن خلال انطاقه له يبيّن لنا مدى بخل صاحبه ، يقول : [3]

لَو تَراني مِن فوقِ طودٍ مِنَ الجو ع أُناجي رَغيفَ نَجلِ سِنانِ
كُلَّما قُمتُ قائِلاً : أرني وَجـ ـهَكَ نادى وَعِزَّتي لَن تَراني

ويجري البوصيري حواراً مع بغلةٍ لشيخٍ ، تشكو فيه من تباريح بخل صاحبها ، وهو حوار ليطف ظريفٌ ، حيث يقول : [4]

قلتُ : ما تَكْرَهِينَ فيه؟ فقالت : أيُّ بُخْلٍ منه وأيّ قَتَارَهْ
أنا في البيْتِ أشْتَهي كَفَّ تِبْنٍ وَمِنَ الفُرْطِ أشْتَهي نُوَّارَهْ

من خلال ما سبق نرى كيف جاء الشعراء بمعانيهم بطريقةٍ لطيفة من خلال تجسيم المواد وغيرها وتصويرها بصور إيحائية .

---

(1) ينظر : عساف ، ياسين ، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، 118.
(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.
(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 536.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة :

الحمد لله الذي زيّن البشر بنعمة العقل ، ومنّ عليهم بالعطاء ، وكان خيرَ مُعينٍ لهم على قضاءِ أمورهم ، وبعد ،

فقد تمَّ بحمد الله إنهاء هذه الدارسة وفحواها السّخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول ، وأهمّ النتائج التي تَمّ التّوصل إليها في هذه الدراسة ما يلي :

- ارتبطت السّخرية في العصر المملوكي بالمجتمع ارتباطاً قوياً ، حيث كان الشعراء يستمدون صورهم السّاخرة من واقع مجتمعهم ومن مجريات أحداثه ، مضيفين إليه الكثير من روحهم الفكهة الضاحكة .
- الأسباب التي دفعت الشعراء إلى السّخرية كثيرة ، منها ما جاء في سبيل التلهي والإضحاك فقط ، ومنها ما هو أهم وهو المدفوع من البيئة الاجتماعية والسّياسية ، ومنها ما كان لأغراضٍ دينية عقائدية .
- كانت السّخرية سلاح كثيرٍ من الشعراء في مقاومة الظلم والجور ، لذلك فإنها تعدُّ مظهراً من مظاهِر المقاومة الشعبية والتّمرّد على الظلم .
- اتخذ الشعراء السخرية وسيلة من وسائل الشكاية ومظهراً من مظاهرها ، حيث كانوا من خلالها يصوّرون فقرهم وضيق حالهم وجعلوا من خلالها يلفتون الأنظار إلى حالهم و أوضاعهم الاجتماعية والمادّية .
- عَمَد الشعراء في سخريتهم إلى المحسنات البديعية وأهمها التورية والتوجيه ، وسخّروها في سبيلِ السّخرية والاضحاك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وَظَّف الشُّعراء الموروثات وتواصلوا بالتراث في أشعارهم ، حيث كان للموروث الديني نصيبٌ كبير من حيث الاقتباس وذكر أسماء السور القرآنية أو ذكر القصص القرآني في أشعارهم والحديث عن بعض معجزات الأنبياء ، وجعلوها طريقاً إلى السُّخرية بإنشاءِ أضادٍ لها عند مهجوّيهم أو التورية من خلالها لبيان ما كان عند مهجويهم من نقائض ، أما الموروث الأدبي فتمثل بالتّضمين ، أو التوجيه بأعلام اللُّغة وعلمائها .
- الأسلوب العام لشعر السُّخرية كان مُتّسماً بالسهولة والوضوح والابتعاد عن الألفاظ الغريبة النَابية المعقّدة .
- عمد الشعراء في سخريتهم إلى التجريح والإهانة في معظم الأحيان وإن جاءت في أحيانٍ أخرى على شكل نكاتٍ وطرائف لطيفة .

أما التوصيات التي يمكن طرحها فهي :

1) دراسة وتحقيق بعض المخطوطات مثل مقتطفات الجزّار ومقتطفات الوراق .
2) تحقيق بعض الدواوين لشعراء من هذا العصر مثل ديوان شهاب الدين الغزازي وديوان إبراهيم المعمار.
3) دراسة موضوع السخرية في الشعر في عصور أخرى .
4) دراسة موضوع السخرية في النثر الأدبي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق

التّراجم :

1) **الإسعردي (619 – 656 هـ)**

محمد بن محمد بن عبد العزيز نور الدين الإسعردي ، شاعِر ماجن ظريف ، اتصل بالملك الناصِر ومَدحه بقصائد سُمّيت النّاصريات ، عُمِي قبل موته .

الوافي بالوفيات 188/1 شذرات الذهب 284/5

فوات الوفيات 271/3 معجم المؤلفين 234/11

2) **ابن الأعمى (- 692هـ)**

علي بن محمد بن المبارك ، الأديب كمال الدين بن الأعمى ، كان شيخاً مُقرئاً من بقايا الدولة الناصِرّة ، والده ظهير الدين الضرير النحوي خطيب القدس ، توفي سنة (692هـ) .

الوافي بالوفيات 129/22 شذرات الذهب 421/5

الأعلام 334/4

3) **البهاء زهير (581-656هـ)**

زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي ، بهاء الدين : شاعر رقيق الشعر ، كان من الكتاب ، ولد بمكة ، توفي بمصر ، له ديوان شعر مطبوع .

البداية والنهاية 13/78-79 شذرات الذهب 5/277-278

النجوم الزاهرة 7/62-63

4) **البوصيري (608-696هـ)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري ، المصري : شاعر حسن الديباجة مليح المعاني ، له ديوان شعر مطبوع .

الوافي بالوفيات 139/6 الأعلام 139/6

فوات الوفيات 205/2

5) **الجزّار (ت - 679هـ)**

يحيى بن عبد العظيم الجزّار : شاعر ظريف مصري ، عمل في الجزارة عندما رأى كساد سوق الأدب.

النجوم الزاهرة 345/7 شذرات الذهب 364/5

ذيل مرآة الزمان 61/4 المغرب 296/1القسم الخاص بمصر

6) **الحمَّامي (- 712هـ)**

نصير الدين بن أحمد بن علي المناوي الحمّامي ، من شعراء مصر ، كان يستجدي بالشعر ، ولما كسد سوقه صار يكتري الحمامات ، وكان على صلة بالوراق والكحّال ولهم طرف وحكايات وأشعار مُتبادلة .

الدرر الكامنة 166/5 فوات الوفيات 205/4

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7) **ابن دقيق العيد.(625-702هـ)**

هو الشيخ تقي الدين، محمد بن علي بن وهب بن مطيع الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو الفتح بن دقيق العيد المصري، أحد الأعلام وقاضي القضاة.

الوافي بالوفيات 193/4 فوات الوفيات 442/3

الأعلام 283/6

8) **سيف الدين بن المشد (- 656هـ)**

علي بن عمر بن قزل التركماني ، شاعر من أمراء التّركمان ، تقلّب في دواوين الإنشاء ، توفي بدمشق سنة 656هـ .

فوات الوفيات 51/3 شذرات الذهب 280/5

الوافي بالوفيات 128/12 معجم المؤلفين 159/7

9) **الشاب الظريف (661-688هـ)**

محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ، شمس الدين ، المعروف بالشاب الظريف ، شاعر مترقق ، ولد بالقاهرة وتوفي فيها ، له ديوان شعر مطبوع .

البداية والنهاية 315/3 شذرات الذهب 405/5

معجم المؤلفين 53/10 بروكلمان-تاريخ الأدب العربي 56/5

10) **ابن الصَّائغ (708-776هـ)**

محمد بن عبد الرحمن بن الصَّائغ الحنفي النحوي ، درَّس بجامعة طولون ، ولي قضاء العسكر ، كان فاضِلاً حسن النثر والنظم ، له شرح الألفية والتذكرة النحوية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوافي بالوفيات 244/3 الدرر الكامنة 499/3

شذرات الذهب 248/6 النجوم الزاهرة 138/11

11) **صفي الدين الحلي (677-750هـ)**

عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم ، ولد في الحلة ونشأ فيها ، مدح السلطان الناصر قلاوون ، كان شاعر عصره وأشهر شعراء زمانه ، له ديوان شعر مطبوع .

النجوم الزاهرة 238/10 الأعلام 17/4-18

معجم المؤلفين 247/5

12) **الضّفدع (- 756هـ)**

محمد بن يوسف الدّمشقي ، شمس الدين بن الخياط ، يقال له الضفدع ، شاعر مكثر مجيد ، أكثر من مهاجاة ابن نباتة ومعارضته ، توفي وهو عائد من الحج بأرض معان سنة 756هـ .

الدرر الكامنة 300/4 النجوم الزاهرة 320/10

المنهل الصّافي 328/3 البدر الطالع 286/2

13) **ابن الظهير الإربلي (-677هـ)**

محمد بن أحمد بن عمر مجد الدين ، شاعر أديب حنفي المذهب ، تنقل بين العراق والشام ، له ديوان شعر ، توفي بدمشق سنة 677هـ.

الوافي بالوفيات 123/2 شذرات الذهب 359/5

فوات الوفيات 301/1 معجم المؤلفين 302/8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14) **ابن فضل الله العمري (- 799هـ)**

هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى بن المجلي بن دعجان بن خلف ، ولد بدمشق ، له شعر ونثر ، له كتاب " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ، توفي في دمشق بالطاعون سنة 749هـ .

15) **القيراطي (726-781هـ)**

إبراهيم بن عبد الله محمد الطائي : شاعر قاهري ، اتصل بابن نباته ، ذهب إلى الحجاز وجاور في مكة ، له ديوان (مطلع النيّرين) .

النجوم الزاهرة 196/11 الدرر الكامنة 33/1

شذرات الذهب 296/6 معجم المؤلفين 54/1

16) **الكحّال (-710هـ)**

محمد بن دانيال الخزاعي الموصلي شمس الدين ، هاجر لمصر وامتهن التكحيل فسُمّي بالحكيم ، عمل في التمثيل (خيال الظل) شعره رقيق فيه مجون وخلاعة ، توفي سنة 710 هـ .

الوافي بالوفيات 51/3 شذرات الذهب 27/6

الدرر الكامنة 55/4 النجوم الزاهرة 215/9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17) **ابن مطروح (592-649هـ)**

يحيى بن عيسى بن إبراهيم جمال الدين بن مطروح ، شاعر أديب مصري ، توفي بالقاهرة ، خدم الملك الصالح أيوب ، ولي نظر الخزانة في مصر ، مات بالقاهرة ، وشعره قصائد طوال ومقطعات تدور على المدح والغزل والزهد.

الأعلام 192/8 ذيل مرآة الزمان 197/1

معجم المؤلفين 217/13

18) **المعمار (- 749هـ)**

إبراهيم الحائك وقيل المعمار ، وقيل الحجار ، عامّي ، إلا أنه مطبوع ، اشتهر بالأزجال والبلاليق ، توفي سنة 749هـ ، له ديوان شعر ، توفي سنة 749هـ .

فوات الوفيات 50/1 المنهل الصافي 188/1

الوافي بالوفيات 173/6 الدرر الكامنة 50/1

19) **ابن نباته (686-765هـ)**

محمد بن محمد بن الحسن الحذامي المصري ، أبو بكر جمال الدين بن نباتة ، شاعر عصره ، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب ، مولده ووفاته في القاهرة ، له قصائد طوال ومقطعات ، له ديوان شعر مطبوع .

الأعلام 38/7 عمر موسى باشا : كتاب ابن نباتة ، أمير شعراء المشقر

عمر فروخ – تاريخ الأدب العربي 94/3-800

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20) **ابن النقيب (- 687هـ)**

الحسن بن شاور بن الحسن بن النقيب الكناني ناصر الدين ، شاعر من أفاضل أهل مصر ، له ديوان (مقاطيع) وكتاب (منازل الأحباب) ، كان من رجال الجهاد المرابطين في الثغور ، توفي 687هـ .

فوات الوفيات 118/1 الأعلام 193/2

النجوم الزاهرة 376/7 المغرب 258/1 القسم الخاص بمصر

21) **الوداعي (640-716هـ)**

علي بن المظفر بن إبراهيم الوداعي الدمشقي ، مقرء مُحدّث شاعر أديب ، له التذكرة الكندية وديوان شعر ، توفي بدمشق سنة 716هـ .

شذرات الذهب 39/6 النجوم الزاهرة 235/9

البدر الطالع 498/1 معجم المؤلفين 243/7

22) **الوراق (615-956هـ)**

عمر بن محمد بن سراج الدين ، شاعر مصر في عصره ، صحيح المعاني كثير التكلف ، في شعره هزل ومجون ، توفي بالقاهرة سنة 695هـ .

فوات الوفيات 140/3 شذرات الذهب 431/5

النجوم الزاهرة 83/8 معجم المؤلفين 309/7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

23) **ابن الوردي (691 - 749هـ)**

عمر بن مظفر بن عمر أبو حفص أديب مؤرخ ، ولد في معرّة النعمان ، ولي القضاء بمنبج ، له كتاب تاريخ ابن الوردي ، ديوانه مطبوع ، توفي بدمشق سنة 749هـ .

النجوم الزاهرة 240/10 البدر الطالع 514/1

معجم المؤلفين 3/8 شذرات الذهب 161/6

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر المخطوطة :

المعمار، إبراهيم. (- 749هـ). **الديوان**. إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية رقم 1118.

المصادر المطبوعة :

- القرآن الكريم .
- الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح. (-850هـ). **المستطرف في كلّ فن مستظرف**. تحقيق محمد مهنا، مكتبة الإيمان، (د.ط)، المنصورة، (د.ت).
- أدونيس. **زمن الشعر**. دار العودة، ط(2)، بيروت، 1978م.
- الإربلي، ابن الظهير. (602-677هـ). **الديوان**. جمع وتحقيق ودراسة ناظم رشيد، كلية الآداب، (د.ط)، الموصل، 1988م.
- إسماعيل، عز الدين. **الأدب وفنونه**. مطبعة الاعتماد، (د.ط)، القاهرة، 1995م.
- ابن أبي الإصبع. (585-654هـ). **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**. تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، (د.ط)، القاهرة، 1995م.
- أمين، أحمد. **النقد الأدبي**، دار الكتاب العربي، ط(4)، بيروت، 1967م.
- أمين، بكري الشيخ. **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**. دار العلم للملايين، ط(4)، بيروت، 1986م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أمين، فوزي محمد. **أدب العصر المملوكي الأول**. ملامح المجتمع المصري. دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، الإسكندرية ، 2003م.
- الأندلسي، علي بن سعيد. (ت 685هـ). **المغرب في حلي المغرب (القسم الخاص بمصر)**. تحقيق محمد حسن شوقي ضيف، وسيدة كاشف، مطبعة فؤاد الأول، (د.ط)، ج1، مصر، 1953م.
- أنيس، إبراهيم، وآخرون. **المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية، 1972م.
- الأيوبي، ياسين:

* **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**. جروس برس، طرابلس، لبنان، 1995م.

* **صفي الدين الحلي**. دار الكتاب اللبناني (د.ط)، بيروت، 1971م.

- باشا، عمر موسى:

* **أدب الدول المتتابعة**. دار الفكر الحديث، بيروت، 1967م.

* **ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق**. دار المعارف، ط(2)، القاهرة، 1972م.

- بدوي، أحمد أحمد. **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**. مطبعة النهضة، مصر، (د.ت).
- بردي، ابن تغري. جمال الدين يوسف الأتابكي. (ت 874هـ):

* **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**. تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العاملة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1984م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر، 1956م.

- بهاء الدين، زهير. (ت 656هـ). الديوان. تحقيق محمد طاهر الجبلاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1977م.
- البوصيري، محمد بن سعيد، (608-696هـ). الديوان، تحقيق عبد الرحمن مصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2007م.
- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ترجمة : محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) (د.م)، 1995م.
- جرير. الديوان. دار صادر، بيروت، 1991م.
- حجازي، أحمد توفيق. موسوعة الأمثال الفلسطينية. دار أسامة، عمان، الأردن، 2003م.
- الحسين، قصي. الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني. المؤسسة الحديثة للكتاب، (د.ط)، طرابلس، 2006م.
- الحطيئة. الديوان. تحقيق حمدو طماس-دار المعرفة. ط(2)، بيروت، 2005م.
- الحلي، صفي الدين أبو الفضل عبد العزيز بن سرايا الطائي. (ت – 750هـ). الديوان. شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حمادة، إبراهيم. **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال**. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، (د.ط)، مصر، 1961م.
- الحموي، ابن حجة، تقي الدين أبو بكر علي (ت 837هـ). **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مكتبة لبنان، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت – 626هـ). **معجم البلدان**. دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1968م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت- 900هـ). **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تحقيق إحسان عباس، دار السراج، ط(3)، بيروت، 1975م.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت- 463هـ). **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م.
- الركابي، جودت. **الأدب من الانحدار إلى الازدهار**. دار الفكر، ط(2)، بيروت، 1996م.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1979م.
- ابن أبي سلمى، زهير. **الديوان**. دار صادر، بيروت، (د.ت).
- سكاربيت، روبير. **الفكاهة**. ترجمة هدى جمال، دار المستقبل العربي، (د.ط)، القاهرة، 1992م.
- سلام، محمد زغلول. **الأدب في العصر المملوكي**. دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1972م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- سليم، محمد ابراهيم. **البهاء زهير، شاعر مصر في العصر الايـــوبي**. دار الطلائـــع، (د.ط)، مصر، 1992م.
- سليم، محمود رزق. **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**. مكتبـــة الآداب، ط(2)، (د.م)، 1992م.
- السمرة، محمود. **في النقد الأدبي**. الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م.
- الشاب الظريف، شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني (661-688هـــ). **الـــديوان**. قدم له وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيـــروت، 1995م.
- الشايب، أحمد. **أصول النقد الأدبي**. مكتبة النهضة المصرية، ط(2)، مصر، 1973م.
- أبو شريفة، عبد القادر. **مدخل إلى تحليل النص الأدبي**. دار الفكـــر، عمـــان، الأردن، 1990م.
- الشناوي، علي غريب محمد. **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي**. مكتبـــة الآداب، القاهرة، 2003م.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت – 1250هـــ). **البدر الطالع بمحاسن من بعـــد القـــرن السابع**. دار المعارف، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (ت – 764هـــ):

* **الغيث السمجم في شرح لامية العجم**. دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* **فض الختام عن التورية والاستخدام**. دراسة وتحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي، القاهرة، 1979م.

* **المختار من شعر ابن دانيال**. تحقيق محمد نايف الدليمي، مكتبة بسام، (د.ط)، الموصل، 1979م.

* **نصرة الثائر على المثل السائر**. تحقيق محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1972م.

* **الوافي بالوفيات**. تحقيق مجموعة دار فراتر شتاينر بغسبادن، المعهد الألماني للدراسات الشرقية، بيروت، 1980م.

- ضيف، شوقي:

* **تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات**. مصر، دار المعارف، ط(2)، القاهرة، 1990م.

* **في الشعر والفكاهة في مصر**. دار المعارف (د.ط)، القاهرة، 1999م.

* **في النقد الأدبي**. دار المعارف، ط(7)، القاهرة، 1962م.

- طبانة، بدوي. **البيان العربي**. مكتبة الأنجلو المصرية، ط(3)، مصر، 1962م.

- ابن ظهيرة. **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**. تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1969م.

- العاكوب، عيسى وآخرون. **الكافي في علوم البلاغة العربية. البيان والبديع**. (د.ن)، القاهرة، 1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- العباسي، عبد الرحيم. **معاهد التنصيص على شواهد التخليص**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، (د.ط)، القاهرة، 1947م.
- عبد الحميد، شاكر. **رؤية جديدة : الفكاهة والضحك**. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط)، الكويت، 2003م.
- عبد الرحمن، منصور. **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري**. مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1977م.
- عبد الله، محمد حسن. **الصورة والبناء الشعري**. دار المعارف، (د.ط)، مصر، (د.ت).
- عتيق، عبد العزيز. **علم المعاني**. دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006م.
- عساف، ياسين. **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.
- العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي. (ت – 852هـ). **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثانية**. ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل.(ت – 395هـ). **الصناعتين - الكتابة والشعر**. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1971م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أبو علي، نبيل خالد. **البوصيري، شاهد على العصر المملوكي**. مكتبة آفاق، ط(2)، غزة، 1998م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي. (ت – 1089هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- العيني، بدر الدين محمود. (ت – 855هـ). **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**. حققه د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1978م.
- الغباري، عوض علي مرسي. **دراسات في آدب مصر الإسلامية**. دار الثقافة العربية، (د.ط)، القاهرة، 2003م.
- فروخ، عمر. **تاريخ الأدب العربي**. دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
- الفقي، محمد كامل. **الأدب العربي في العصر المملوكي**. دار الموقف العربي، ط(3)، مصر، 1984م.
- القباني، عبد العليم. **من الشعراء أصحاب الحرف**. دار الكتاب العربي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- القشطيني، خالد. **سجل الفكاهة العربية**. دار الكرمل، (د.ط)، عمان، الأردن، 1993م.
- قليقلة، عبده عبد العزيز. **النقد الأدبي في العصر المملوكي**. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الكتبي، محمد بن شاكر. (ت – 764هـ). **فوات الوفيات**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1951م.
- ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي. (ت – 774هـ). **البداية والنهاية**. وثقه علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، ط(2). بيروت، 2003م.
- كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**. مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي، ط(2)، بيروت، 2003م.
- ابن كلثوم، عمرو. **الديوان**، صنعه علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، 1991م.
- محمد، محمود سالم. **أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري**. دار الفكر، دمشق، 1993م.
- محمود، شهاب الدين أبو الثناء بن فهد الدمشقي. (ت – 725هـ). **حسن التوسل إلى صناعة الترسل**. المطبعة الوهبية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (ت – 845هـ):
  * **الخطط** (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبع مصر، 1327هـ.
  * **السلوك لمعرفة دول الملوك. صححه ووضع حواشيه**: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- مندور، محمد. **الأدب وفنونه**. دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، 1974م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (ت-711هـ). **لسان العرب**. دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- ابن منقذ، أسامة (ت-584هـ). **البديع في نقد الشعر**. تحقيق أحمد أحمد بدوي وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، (د.ط)، مصر، 1960م.
- ابن نباته المصري. (ت-768هـ). **الديوان**. دار إحياء التراث العربي، نشره محمد القلقيلي، بيروت.
- هدارة، مصطفى محمد. **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري**. دار المعارف، ط(2)، مصر، 1969م.
- الهيب، أحمد فوزي. **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر. (ت-749هـ)

  * **تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي**. تحقيق، أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

  * **الديوان**. تحقيق أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، 1986م.
- الورقي، السعيد. **لغة الشعر العربي، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية**. دار المعرفة، (د.ط)، القاهرة، 2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد. (ت-726هـ). **ذيل مرآة الزمان**. دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، (د.ت).

الرسائل الجامعية :

- السراحنة، سارة حسين. **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته**. رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 2007م.
- الصايغ، هنرييت. **اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام**. رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، القاهرة، 1980م.
- عبد الهادي، حسن محمد السراحنة. **دراسة شعر شمس الدين النواجي مع تحقيق ديوانه**. رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، القاهرة، 1980م.
- عيسى، عبد الخالق. **السخرية في الشعر في العصر العباسي**. رسالة دكتوراة، جامعة النجاح، نابلس.
- غريب، علي محمد علي. **شعر ابن فضل الله العمري ، جمع وتوثيق ودراسة**. رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 2008م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com